

فيلم بوليسيّة المأولاد

لفظ الساقية المرحوة



Looloo

www.dvd4arab.com



« أم شلبي »



أم شلبي

كان المغامرون الثلاثة ،
« عامر » ، و « عازف » ،
و « عالية » ومعهم الصديق الوفي
الأمين « سمارة » ، منهمكين في
الإعداد لرحلة الغد . كانوا
يشعرون بالغبطة والسعادة ، فغداً
سوف تبدأ إجازة نصف السنة
الدراسية . وكان أسعدهم هو
الكلب « روميل » ، الذي أحس

بغريزته أن في الأمر شيئاً هاماً غير عادي . أما القط « مرجان » فكان
هادئاً رزيناً كعادته . .

فقد وعدهم والدهم أن يقضوا فترة الإجازة في المنزل الصغير
الجميل الذي يملكه في زمام بلدة « سنديون » بمحافظة القليوبية .
وتقع هذه البلدة على الطريق الزراعي ، وعلى مسافة ما يقرب من
نصف الساعة بالسيارة من وسط مدينة القاهرة .

وقد شيد والدهم هذا المنزل قرب عشرة فداين يملكها مزروعة

بالمالح : البرتقال واليوسفي والليمون . وعلى بعد قليل من المنزل تمر
الترعة الرئيسية التي تغذى الناحية بمياه الري .

وبجوار المنزل « دوار » صغير . كان يستعمل فيما مضى لإيواء
الجاموس والأبقار والماشية . أما الآن فهو خاو لا يحتوي إلا على بعض
الأدوات الزراعية . منها المعاول والفثوس ، ونورج قديم نزعته عنه
التروس ، حيث استبدل به الجرّار البخاري .

وعلى بُعد مائة متر من المنزل تقع ساقية نضب ماؤها ، وبطل
استعمالها . حيث استبدلت بها الظلمبة الآتية . وإن كانت لا تزال
تحتفظ بقواديسها ^(١) .

وكان المغامرون يعرفون كل هذه الأشياء جيداً . فكم قضا في
هذه الناحية أوقاناً طيبة مع والديهم . اللذين كانا يصطحبانهم كلما
سمحت ظروفها بذلك لزيارة الأرض . وهو نادراً ما كان يحدث نظراً
لانهماك والدهم في عمله بالقاهرة .

أما المنزل الصغير فكان يُعلق على مدار العام . ولا يُفتح
إلا لاستقبالهم إبان هذه الزيارات الخاطفة المفاجئة ! .

° ° °

(١) القادوس هو آتية فخارية أو معدنية تركب على عجلة الساقية العمودية لرفع المياه
من البئر العميقة إلى سطح الأرض .

وكان المغامرون لا يطبقون صبراً في انتظار الصباح . بعد أن
سبقهم إلى هناك سيارة تحمل لهم أمتعتهم وبعض المأكّل .
ودراجاتهم . والصنابير لصيد السمك من الترعة ، وبنادق الرّش
لصيد العصافير . وجلد الثر الذي أهده المهرابا المزيف إلى
« عالية » .

فقد أصرت « عالية » على أخذه معها لتفرشه على أرض الصالة
البلاطية . اتقاء لبرد الريف في شهر يناير .

وكان الوالدان يجلسان وسطهم وهما يزودانهم بنصائحها الأخيرة .
الوالد : رجائي الوحيد هو أن تكفوا عن الشقاوة طوال إقامتكم
هناك ، وأن تبتعدوا عن الزجّ بأنفسكم في المغامرات كعادتكم !
عالية : نعدك بذلك يا بابا ! . .

الوالدة : وستجدون « أم شلبي » في استقبالكم بالمنزل . وهي التي
ستقوم بإعداد الطعام والخدمة ونظافة المنزل .

و « أم شلبي » هذه فلاحّة صميّة طيبة . وهي زوجة الخفير الذي
يشرف على الحراسة في بساتين الفاكة ، كما تشرف هي على حراسة
المنزل في أثناء غيابهم !

° ° °

كانت السيارة تسير بهم بخوار الترعة في الطريق الضيق غير المهد

وسط المزارع والبساتين ، حتى وصلت بهم إلى بوابة المنزل .

وما كادوا يترجلون حتى هلت عليهم « أم شلبي » وهي تهش فيهم بوجهها السمج .

أم شلبي : أهلاً . أهلاً . يسعدني أن أراكم . . . لقد سمعت عنكم كثيراً ! . . .

لم يكن المغامرون قد رأوا « أم شلبي » من قبل . ولكنهم أنسوا لها من أول وهلة ، وشعروا نحوها بالوَدِّ والعطف .

اخترق المغامرون الطريقة الطينية المؤدية إلى باب المنزل من البوابة الخارجية . وكان « سمارة » يسير خلفهم ، يتبعه « روميل » . وكان « سمارة » يتطلع إلى ما حوله ، فقد كانت هذه أولى زيارته للمنزل والبساتين . وعندما وصل إلى الباب ، رأى « سقطة » ضخمة أثرية مثبتة في وسطه . وكانت هذه السقطة من الحديد ، على شكل كَفِّ آدمي يمسك بكرة ، وتستعمل في الطرق على الباب .

أمسك « سمارة » بالسقطة وطرق بها الباب فجأة بشدة فجفلت « عالية » من الصوت العالي الرنان الذي شاع صدها في أركان الصالة الفسيحة . .

عالية : ما هذا يا « سمارة » . . هل ابتدأت الشقاوة من الآن ؟

ودخل المغامرون المنزل بعد أن اعتذر « سمارة » عن شقاوته .

فوجدوه أيقاً نظيفاً مرتباً . وكانت « أم شلبي » تتبعهم مرحبة مهللة .
أم شلبي : أنا نظفت البيت ورتبته . . ولكنني احترت أين أضع هذا القط الذي لم أر أكبر منه في حياتي ! ! ! . . .

ضحك الجميع على سذاجتها ، وتوجهت « عالية » إلى جلد الغر الذي كومت « أم شلبي » في ركن من الصالة ، وسحبته وفرشته في وسطها .

عالية : هذا جلد غمريا « أم شلبي » . . اصطدناه بأنفسنا في الهند . . سنجلس عليه هنا لتدفأ به من البرد . .

أم شلبي : أمّا أنا فلن أقربه . . وتكفيني حرارة القرن ! . .
صعد المغامرون إلى الطابق العلوي الذي كان يحتوي على غرفتي نوم . احتل أحدهما « عامر وعالية » ، والأخرى « عارف وسمارة » . أما « روميل ومرجان » فكانا يرقدان معها متجاورين داخل الغرفة . والكلب والقط قد رضيا عن طيبة خاطر بهذا الجوار ، فهما يدركان النتيجة لوقام بينهما شجار ، وهو الطرد والنوم خارج الدار ! ! ! . . .

دخلت « عالية » المطبخ فوجدت « أم شلبي » منهمكة في صنع بعض الفطير « المشلت » اللذيذ ، والجبن القريش ، والحمام المحشو بالفريك .



كان أول ما لفت نظرهم هو «خيال المات»

عالية : من سيأكل كل هذا يا «أم شلبي» ؟
 أم شلبي : أنتم طبعاً .. بعد رجوعكم إلى المنزل من الغيطان
 ستطلبون المزيد .. هواء الريف يفتح الشهية !
 عالية : اعمل معروف يا «أم شلبي» اقفل الشباك .. الدنيا برد !
 أم شلبي : الهواء يدفع الشباك لأن الأكرة مكسورة ! وسأخبر
 «أبو شلبي» ليرسل لنا من يصلحها ..
 قالت هذا وتوجهت ناحية الشباك وأحكمت إغلاقه ، ولكنها
 ماكدت ترجع إلى «عالية» حتى هبَّ الهواء ففتحه ثانية .
 أم شلبي : على كل حال ياست «عالية» الدار أمان .. وليس في
 المنزل ما يغرى بالسرقة .. و«الكرار» وبه الحزين مغلق بالمفتاح .
 عالية : وأين المفتاح ؟
 أم شلبي : لا أدري .. يمكن مع الست الكبيرة في مصر ! ..
 ذهبت «عالية» إلى باب «الكرار» الموجود داخل المطبخ
 وحاولت فتحه ولكنها لم تتمكن من ذلك ...
 اندهشت «عالية» من ذلك ! هل سُهِيَ على والدتهم أن
 تسلمهم المفتاح قبل سفرهم ؟ أم هي تعلم أن بابه مفتوح ! هذا
 لا يهم الآن ، فستجلب الحقيقة عند وصولها بعد أيام !
 خرجت «عالية» من المطبخ في طريقها إلى الصلاة ، فوجدت

إخوتها و«سارة» على أهبة مغادرة المنزل . وكان «عامر» يحمل بندقية الرش في يده ، و«عارف» و«سارة» يمسكان بصنانير الصيد ، و«روميل» يتبعهم وهو يهز ذيله فرحاً . أما «مرجان» فقد فضل أن يتسرب في خلصة إلى المطبخ في طلب الطعام .
عالية : إياكم والتأخير . فالغداء في تمام الواحدة . . أما أنا فسأمكث اليوم مع «أم شلبي» لأتعلم منها كيفية عمل «المشلت» وحشو الحمام !

° ° °

خرج الثلاثة إلى حديقة المنزل الصغيرة المزروعة بأشجار الخوخ والبرقوق والمشمش ، ليستقلوا دراجاتهم التي كانت تستند إلى جدار المنزل . وكان أول مالفت نظرهم هو «خيال المائة» المقام وسط أشجار الفاكهة . كان متقن الصنع حتى خيل إليهم أنه تمثال رجل حقيقي .

سارة : ما رأيكم في أن نضع على جسمه بعض الملابس الجديدة . وعلى رأسه طاقية أو عمامة لتقيه البرد ؟
عارف : هذه فكرة جميلة . . أنا متبرع له بكوفية !
عامر : وأنا بجاكتة قديمة !
سارة : وأنا بطاقية ! وسأسميه «شلبي» ! ! .

عامر : إياك أن تناديه بهذا الاسم على مسمع من «أم شلبي» ! فقد تظن أننا ننزأ بها . والآن هيا بنا نزور الساقية المهجورة . . وهناك يجوارها في التربة موقع غني بالبلطي والقراميط تصطادان منه . أما أنا فسأجوب المزارع في طلب العصافير . . وسوف أوافيكم قبل الظهر .
توجهوا بدرجاتهم إلى الساقية . فوجدوها كسابق عهدهم بها . . تقع مهجورة وسط المزروعات والأشجار . أطلوا في بئرها العميقة فوجدوها جافة تنمو فيها بعض الحشائش . ويجوار الساقية مبنى من الطين تداعت جدرانه ، كان يأوى فيها مضي الجاموسة التي كانت تدير الساقية .

وقفوا أمام الساقية ينظرون إليها وهم يتعجبون ! لماذا تركت هذه الساقية هكذا ، مع أنها خربة مهجورة ؟
عامر : لا أدري لماذا ترك والدنا هذه الساقية مكانها وقد أصبحت عديمة الفائدة ، بعد أن حلت محلها الآن طلبات المياه ؟
عارف : كان الأجدر به أن يزيلها ويزرع مكانها أشجاراً ؟ سوف أقترح عليه ذلك ! . .

حاول الثلاثة إدارة الساقية بكل ما فيهم من قوة ، ولكنها استعصت عليهم .

سارة : إن إدارتها تحتاج إلى جاموسة أو ثور أو جمل . . ونحن

لا تملك واحداً منها .

عارف : يمكننا أن نستعير جاموسة « أم شلبي » ! أوجمل الشيخ « رفاعي » مستأجر البساتين !

عامر : وما الحاجة لنا بإدارتها ؟ لا تفكر في شيء من ذلك يا « عارف » ! لا فائدة ترجى من وراء إدارتها بعد أن جفّت مياهها ! هيا بنا لاتضيع وقتنا فيما لا يفيد . . . فحنم لم نأت هنا للفرجة على ساقية مهجورة ! ! !

وهكذا قضى ثلاثتهم أول صباح لهم في الرياضة وصيد السمك والاستكشاف في الغيطان المجاورة .

وما إن حانت الساعة الواحدة حتى كان الجميع يجلسون على المائدة ، يلتهمون الطعام الرفيقي الشهى اللذيذ الذي أعدته لهم « أم شلبي » .



« السقطة »

وقرب حلول الظلام ، بدأت « أم شلبي » في إيقاد لمبات الجاز . حيث لم يكن بالمنزل كهرباء . ثم أوصتهم بأن يبعدوا الكلب والقط عنها تفادياً من شيوب حريق بالمنزل .

وبعد أن انتهى المغامرون من تناول العشاء ، جلسوا في الصلاة يتسامرون ويتدارسون في برنامج

الغدا . في حين كانت « عالية » تفرش جلد الغر الموضوع على الأرضية ، وهو مكان جلوسها المفضل .

عالية : الحال هنا هادئ بدرجة غير عادية . .

عارف : يبدو أننا سنقضي هذه الإجازة في استرخاء واستجمام . بلا إثارة أو مغامرة ! الجو هنا ينذر بذلك !

عامر : من يعلم ؟ لعله الهدوء الذي يسبق العاصفة ! ! ! إني أتوجس شيئاً ما سيحدث ! ! ! إنه شعور داخلي ! ! !

ولكن «عامر» توقف فجأة عن الحديث ، وأخذ يحديق في النافذة المطلة على حديقة المنزل . لقد خيل إليه أنه رأى شعباً يتحرك ، فقال :

عامر : هناك من يتحرك في الحديقة يتطلع إلينا . الزموا أماكنكم ولا تتحركوا لئلا نرى ماذا سيفعل !

سمارة : هل نسيت «شلبى» ؟ ليس هناك في الحديقة غيره !
عامر : أين ذكاؤك يا «سمارة» ؟ «شلبى» ثابت في مكانه لا يتحرك !

عالية : ومن هو «شلبى» هذا ؟
سمارة : «شلبى» اسم أطلقناه على «خيال المآة» الموضوع في الحديقة !

عامر : غريب ! .. ولكني لا أرى شيئاً الآن . . . ومع ذلك خيل لي تماماً أني رأيت شخصاً يقف هناك يحديق في النافذة ! ربما كنت مخطئاً !

قال هذا وذهب إلى النافذة وأسدل ستارها .
وفي الساعة التاسعة بدعوا يشعرون بالنعاس ، فتسرب الواحد منهم وراء الآخر إلى غرفته .

أما «أم شلبى» فقد توجهت إلى حجرة بحوار المطبخ لتنام فيها ،

بعد أن قامت بإطفاء شعلات الجاز ، وأصبح المنزل في ظلام دامس .

...

كانت «عالية» تتحدث إلى أخيها «عامر» وهي تتأهب في فراشها ، وقالت له : لو كان هناك شخص غريب في الحديقة لنبح عليه «روميل» . . لاشك أنك كنت واهماً . .

عامر : هذا صحيح . . لقد فاتني ذلك !
ولكن «عامر» لم يشأ أن يخبر أخته بأن «روميل» لم يكن في وضع يسمح له برؤية الحديقة من النافذة وهو يرقد على أرض الضالة . كما أن وقع الأقدام لا يُسمع وهي تدب على الأرض الطينية !
وفي الحجرة المجاورة كان «سمارة» يرقد في فراشه ، في حين كان «روميل» يرقد بجوار السرير بالقرب من سيده . وكان «روميل» قلقاً يزوم و«يطرطق» أذنيه من وقت إلى آخر .

لم يأبه «سمارة» بما يصدر عن كلبه من حركات وإشارات . فقد أولها على أن «روميل» يطارد في نومه وأحلامه فأراً . . أو القط «مرجان» ! وهذه هي عادته على كل حال عندما يتام في مكان غريب !

راح الجميع في سبات عميق على أثر مجهود اليوم الطويل الشاق .

وفي الصباح وبعد تناول الإفطار ، اتفقوا على الخروج إلى المزارع
للصيد والترقب . ولم يكن أمامهم ما يفعلونه غير ذلك . .

أما «عالية» فقالت إنها ستصلح جاكيتها الصوفية ، وستلحق بهم
بعد قليل عند التربة .

وفي الطريق إلى الخارج ، توقفت «عامر» عند «خيال المائة» ،
وأخذ ينظر إليه بامعان ، ثم قال :

عامر : إن «شلي» يبدو في الظلام كرجل حقيقي ! إذا كنا نحن
نراه كذلك . . فلاشك أن العصفير معدودة ! . .

عارف : خاصة بعد أن كسوته بهذه الملابس الأنيقة . .

عامر : ما رأيكما في أن نفحص آثار الأقدام هنا . . ربما وجدنا
بعض الآثار الغريبة عن أقدامنا نحن ! لأنني مازلت أشك في أنني

لحقت شبحاً بالحديقة في الليلة الماضية !

ولكن بعد أن فحصوا المكان بدقة ، لم يجدوا أي أثر واضح .

فقد كانت الآثار كلها مختلطة مشوشة . .

ذهب «عامر» إلى حيث يقف «شلي» ماداً ذراعيه الخشبيين في

وضع أفقي ، في حين تتدلى أكتاف جاكته إلى أسفل . وكان يوجد

بالقرب منه خوص صغير مصنوع من الغاب وفروع الأشجار الجافة ،

وبه بعض الفئوس والمقاطف المستعملة في الحديقة .

وكان «روميل» يحول في المكان يشم كل شبر من الأرض . وإذا
به يجري فجأة ويدخل الخوص الصغير ، ثم يخرج منه وهو يقبض على
شيء بأسنانه الحادة . ولما تناوله منه «عامر» وجدته فردة قفاز
صوفى ! . . ولكن ياله من قفاز كبير لكف ضخمة . لا بد أن تكون
هذه الكف لعنلاق ! ! . .

عامر : انظروا ماذا اكتشفه «روميل» ؟ أظن الآن أن شخصاً كان

هنا يرقبنا بالأمس ! ! . . إذ لو أن صاحبه فقدته منذ زمن طويل . .

لعاد يفتش عنه ووجده !

عارف : ربما كنت مصيباً في ظنك . . ولكن لا داعي الآن

لإزعاج «عالية» و«أم شلي» فلنتظر حتى نكشف عن هذا
الغموض . .

سمارة : لك حق . . ربما كانت المسألة مجرد وهم ! . .

عامر : على كل حال لا يمكننا أن نفعل شيئاً الآن . . وما علينا

إلا أن نفتح أعيننا جيداً . . ولا أظن أن المسألة مجرد وهم ! فأمامنا

الآن دليل ملموس !

وفي المساء كان المغامرون يجلسون كالعادة في الصالة بعد تناول

العشاء ، وعيونهم تحديق من خلال النافذة إلى الحديقة . ولكنهم لم

يلاحظوا شيئاً غريباً هناك ! ..

وأخيراً تنأب «سمارة» وقال : إني أشعر بالتعب ، وسأصعد لأنام .. ولن يوقظني الليلة من نومي صوت القنابل أو هزات الزلازل ! ! ..

صعد «سمارة» إلى غرفته ومعه المغامرون الثلاثة . وماكادوا يأوون إلى فراشهم حتى راحوا في سبات عميق . لقد حلّ عليهم التعب بعد مجهود اليوم الطويل الشاق .

أما «أم شلبي» فقد دخلت المطبخ وأطفأت اللبنة ، ووقدت في فراشها ونامت لثوبها ..

وكان السكون الخفيف يحيم على المنزل والحديقة ، ولا يُسمع غير نباح الكلاب ومواء القطط وصياح اليوم يأتي من المزارع القريبة . وعلى حين فجأة ، مَرَّق صمت الليل صوت قوَى كالرعد ، انتشر صدهاء في أرجاء المنزل الصغير .

استيقظ الجميع على هذا الصوت المدوّى ، وهبوا من فراشهم كمن يستيقظ على أثر حلم مزعج أو كابوس مخيف . وأخذ «روميل» ينبج نباحاً متواصلاً . أما «مرجان» فقد تسلل واختبأ في هدوء تحت السرير ! ! صاح «عامر» على أخيه «عارف» في الغرفة المجاورة قائلاً :

عامر : هل سمعت هذا الصوت يا «عارف» ؟ !

عارف : طبعاً .. إن الأصم يسمعه ! .. لا أظنه الرعد .. إني أرى القمر والنجوم من نافذتي والسما صافية . ونحن لسنا في رمضان وإلا ظننته مدفع السحور !

سمارة : ماذا تظن هذا الصوت يا «عامر» ؟ .

عامر : لا أعلم ، فقد كنت نائماً .. ولكن يبدو لي أن الصوت قريب جداً .. وكأنه داخل المنزل ! ! ..

وماكاد «عامر» يتم جملته ، حتى دوى الصوت الهادر من جديد . لقد سمعوه الآن جيداً بجلاء ووضوح .. إن الصوت هذه المرة ليس حلماً مزعجاً أو كابوساً مخيفاً . بل هو الحقيقة ! إن صدى الصوت لا يزال يتردد في آذانهم ، ويتشتر في المنزل مملأً فضاءه !

دخل «عارف وسمارة» على «عامر» وهما يتساءلان : ترى ماذا يكون مصدر هذا الصوت الدخيل ؟

أخذ المغامرون يفكرون برهة ، إلى أن نطقت «عالية» :
عالية : هذا صوت «السقّاطة» الضخمة المعلقة على الباب الخارجى ! إن شخصاً يطرق بها على الباب بعنف ! ! والصوت يتضخم في سكون الليل ! هذا هو الصوت الذى سمعناه عندما طرق «سمارة» الباب عند وصولنا ! ! ..

عارف : ومن تَسَوَّلَ له نفسه أن يأتي في مثل هذا الوقت المتأخر . . . إن الساعة الآن الثانية صباحاً ! . .

عالية : أَيْكون والدنا ؟

عامر : لا أظن ذلك . . إنه لم يخطُرنا تليفونيّاً كما وعدنا . . وهو معه أيضاً مفتاح الباب . . .

ظَلُّوا هكذا صامتين واجمين لا يتحدثون حلاً أو تفسيراً لذلك ، إلى أن دخلت عليهم «أم شلي» في هذه اللحظة وهي ترتجف حاملة لمبة الجاز في يدها .

أم شلي : هناك من يطرق الباب . . أنا خائفة . . ولن أنزل لأفتح الباب . . ولا أنصحكم بالنزول ! . .

ابتسم «عامر» لها وهو يطمئنها وقال :

عامر : لا تخافي يا «أم شلي» . . ربما كان الطارق أحد الجيران يطلب التجددة ! سنظل من النافذة ونسأله من هو ؟

فتح «عامر» النافذة وأطل منها على الحديقة . وكان شيخ «شلي» واضحاً مميّزاً في ضوء القمر . وصاح قائلاً :

عامر : من هناك ؟ . . من هناك ؟

حبس الجميع أنفاسهم في انتظار سماع صوت الطارق ومن يكون .

ولكن لم يكن هناك نجيب ! . . وكل ما سمعوه كانت أصداء صوت «عامر» تنجاوب في أنحاء الحديقة !

فأغاد «عامر» الكُرّة وصاح :

عامر : من الذي يطرق الباب ؟ أجب من فضلك ! . . ولكنه أغلق النافذة بعد أن يش من وصول الرد ، وبعد أن رأى

«عالية» وهي ترتعش من الهواء البارد الذي هبّ عليهم من المزارع . قال : لا أحد هناك . . لا صوت ولا حس !

عالية : أنتظرون أن أحدهم يترج معنا ؟

عارف : من الجائر . . ولكن بآله من مزاج ثقيل غير مستساغ ! . .

عامر : إذا كان الأمر كذلك فهنا بنا الآن نعاود النوم !
عالية : وهل سيأتينا النوم ونحن في انتظار هذا الصوت من دقيقة لأخرى !

عامر : لنأمل أنه سوف يكفّ عن الطرق . . وستتجرى الأمور عنه في الصباح . .

« خيال المآته »

اجتمع المغامرون في الصباح ، على مائدة الإفطار . وكانوا يتحدثون . عن لغز هذا الطارق الليل . الذي يدق على الباب بالسفافة . بعنف . . . ثم يتبخر في الهواء ! . وهل هو وهم . . . أوشيح . أوحقيقة !
عامر : ما رأيكم الآن في إجراء بعض التخرابات في



الحديقة ، وأمام الباب ، لعلنا نصل إلى نتيجة ؟
عالية : لا بد أن نصل إلى الحقيقة . . ولا يمكن أن نضي ليلة أخرى نهباً « للوساوس والخواجس !
وافق الجميع على اقتراحه . وخرجوا من الباب يقردهم « روميل » .

أما « مرجان » فكان يلهو في الحديقة منذ الصباح الباكر . قال « عامر » بعد أن تمهلوا قليلاً عند العتبة ، وكانت عيونهم تتطلع هنا وهناك عن أى أثر قد يميظ لهم اللثام عن هذا اللغز المحير .

عامر : المفروض أنه لا توجد غير آثار أقدامنا ، وأقدام « أم شلبي » . . فلا أحد غيرنا وطئت أقدامه أرض الحديقة منذ وصولنا !
عالية : يعنى إذا عثرنا على آثار غيرها ، فهل تكون للطارق الغامض ؟

انتشر المغامرون في الموقع الذى يؤدى من البوابة الخارجية إلى باب المنزل . إن آثار أقدامهم ، وأقدام « أم شلبي » و « روميل » و « مرجان » تظهر بوضوح وجلاء . أما فيما عدا ذلك فلا شيء هناك ! !

وأخيراً وبعد التدقيق ، لحت « عالية » بنظرها الثاقب ، آثار قدمين كبيرتين ثقيلتين غائرتين ، تحاذى جدار المنزل .
عالية : انظروا ! لقد اكتشفت شيئاً هاماً !

تتبع المغامرون هذه الآثار ، فوجدوا أنها تأتى من ناحية « خيال المآته » . ثم تسير في محاذاة المنزل ، حتى تتوقف بجوار عتبة الباب . وكان « عارف » يفحص هذه الآثار في صمت وهو يسير معها ذهاباً وإياباً ، وهو يهز رأسه تعجباً . . . ثم قال :

عارف : ألا تلاحظون أن هذه الآثار تسير في اتجاه واحد ؟
عامر : هذا صحيح . . . فبى تأتى من ناحيه « خيال المآته » . . . حيث تتوقف عند عتبة الباب ! أليس هذا عجيباً ! . .

عالية : وهذا يعنى أن صاحب هذه الآثار لم يعد أدراجه من حيث أنى ! ! ! . أبكون قد هبط علينا من السماء بالبراشوت ! ! ! .

سمارة : وإذا كان لم يرجع . . ولم يدخل المنزل . . فأين ذهب ؟
عالية : هذا هو بيت القصيد . . إنه لغز ! ! ! .
عامر : أنا متأكد الآن أن هذه آثار قدميه . وأن القفاز الذى عثر عليه « روميل » هو قفازه !

عارف : الآن نحن على يقين من أن قدميه كبيرتان ، وأن كفيه غليظتان . . وأنه وصل حتى بابنا ولم يعد أدراجه ! هذه هى كل معلوماتنا عنه !

سمارة : ولكن ما نجهله هو لماذا يطرق بابنا فى الليل ويختفى ! ! !
هذا هو اللغز الحقيقى الذى يبحث عن الحل !
عالية : على كل حال أرجو أن يكفّ عن مزاحه . . وأن يتركنا فى حالنا !

عامر : هل تظنون من الأصوب أن نخطر والدنا تليفونيا ؟
عارف : هذا من واجبتنا . . ربما كان فى الأمر سرٌّ خطير !
لـم يتمكن المغامرون من الاتصال بالدهم تليفونيا . فقد كان



تليقون العنيدة معطلاً . وبعد أن تشاوروا في الأمر فيما بينهم ، استقر رأيهم على كشف هذا الغموض ودوافعه بأنفسهم . إلى أن يتم إصلاح التليفون .

عامر : إذن سنبدأ تحرياتنا من هذا «الدوار» القريب .
توجه الجميع صوب الدوار ، وماكادوا يصلون بالقرب منه ، حتى شاهدوا آثار الأقدام الكبيرة الغائرة . هي نفسها التي تظهر بجوار جدار المنزل !

تطوع «سمارة» لتسلق جدار الدوار ، وفقر من نافذة علوية صغيرة إلى الداخل . ثم خرج إليهم بعد برهة وجيزة ، وهو يحمل لهم خبزاَ هاماً .

سمارة : يبدو على الدوار أنه مهجور من مدة طويلة . ولكنني عثرت بجوار «النورج» على بطانية قديمة ووسادة . . . وعلية سجائر فارغة . . . وبعض أعقاب السجائر . . . ويقايا طعام طازج ! . . . قال هذا وتناول «عامر» العلبة الفارغة وأعقاب السجائر .

عامر : أعتقد أن هذا الطارق المجهول يخفي في هذا الدوار ليلاً . . . ولا بد أن يكون المفتاح في حوزته ! . . . فالنافذة صغيرة يتعذر عليه المرور منها !

سمارة : وهذا ما بددهشني ! . . . فالمكان لا يصلح إلا لنوم

اليام ! لقد كدت أختنق فيه !

عالية : ربما كان هذا المجهول يراقبنا . . . فالدوار أقرب مكان للمنزل يصلح لهذا الغرض ! كما أنه بعيد عن الشبهة !

عارف : أوروبما هو ينتظر بفارغ الصبر وحيداً عن المنزل !
سمارة : ولماذا ؟ فليس بالمنزل ما يستحق كل هذا الاهتمام !
عالية : ونحن لا نقف في سبيل أحد !

عامر : من يعلم ؟ قد يكون في هذا المنزل ما يستحق منه هذه المخاطرة ! ! ونحن نقف أمامه حائلاً في سبيل الحصول عليه !
تتبع المغامرون آثار أقدام الضيف الثقيل منذ خروجه من الدوار حتى اختفت بين المزروعات .

عالية : على الأقل آثار أقدامه هنا تروح وتجيء . . . فهي ليست في اتجاه واحد ! ! . كما هو الحال أمام المنزل .

سمارة : ترى من يكون هذا الشخص ؟ أيكون متشرداً أولاً ؟
عارف : ولماذا يطرق متشرداً بابنا ليلاً ؟ وإذا كان لصاً فهو من باب أولى يخفي صوته وتحركاته . . . ولا يعلن عن قدومه بالسقاطة !
كانت «أم شلبي» في استقبال المغامرين على الباب الخارجي عندما وصلوا قرب المغرب لتناول العشاء .

وكان «سمارة» يضحك وهو يقول لها مازحاً :

— هل زارك طارق الليل في أثناء غيابنا؟ أم أن الدنيا مازالت نهاراً !

أم شلبي : دعه يحضر ! فقد تحضنت له بيد « الهاون » ، وبإيريق من الماء المغلى ! سوف أعطيهِ درساً لن يعاود بعده طروق الباب ! . والآن سأحضّر لكم الطعام . .

جلس المغامرون حول المائدة وهم يضحكون . ويعجبون باستعداد « أم شلبي » للاستقبال الحار الذى سوف تفاجئ به طارق الليل !

كان ضوء القمر يشع بنوره على الحديقة ، عندما نهضت « عالية » وسارت نحو النافذة . وقالت :

عالية : سأبديل الستائر حتى لا يتلصص علينا أحد من هذا الخص الصغير !

ولكنها ماكادت تفعل ذلك حتى صاحبت :

عالية : أين « خيال المائة » ؟ ؟ ؟ ! . .

أسرع الجميع وتكالبوا حول النافذة ينظرون إلى حيث يقف خيال المائة يحبى فاكهة الحديقة من هجوم العصافير ! . .

سجارة : لقد اختفى « شلبي » ؟ ؟ ! . .

عارف : هذا عجيب . . مستحيل . . لقد شاهدناه من نصف ساعة فقط !

عامر : المهم أنه ليس الآن هناك ! ! ! . . ولكن أين اختفى ؟
يا لها من أحداث غريبة مبهمة تقع حولنا ! ! ! . .

حل الصمت بالمغامرين بعد أن أصابتهم دهشة بالغة . وأخذوا يتشاورون في الأمر فيما بينهم ، إلى أن قالت « عالية » :

عالية : لا بد أن أحداً نزع من مكانه . . هذا هو التفسير الوحيد !

سجارة : هذا يديهي . . « شلبي » لا يستطيع أن يتحرك وحده . . ولو كانت الريح شديدة لقلنا إنها افتلعت !

عارف : ولكن ما هو الداعى لانتزاعه . . أو سرقة ؟ !

عامر : هذا لا يهم الآن . . المهم أن نبحث عن « شلبي » حالاً .
وسنأخذ معنا « روميل » ليتعقب بأنفه هذا اللص . . ياله من لص
تافه ! لم يجد أمامه غير هذا الخيال مسروقة !

ولكنهم ماكادوا يشرعون في الخروج ، حتى دخلت عليهم « أم شلبي » مهرولة وهي تصبح وتبولل .

اندعش المغامرون من تصرفها الغريب ، فسألها « عالية » .

عالية : ماذا دهلك يا « أم شلبي » ؟ هل حدث لك مكروه ؟ أم ضادفك طارق الليل ؟ ؟ ! . .

أم شلبي : « خيال المائة » يا سنى « عالية » ! ! كان يقف يظل

على رأسه من نافذة المطبخ ! ! . .

سارة : أنت تتوهمين ! « خيال المائة » لا يمكنه أن يتحرك ..

أويطلّ من النوافذ ! ! . .

أم شلى : بل هو بعينه ! . وعلى رأسه طاقيتك !! ! أطلّ على

برأسه من النافذة . . ثم اختفى ! ! . .

لم يصدق أحد من المغامرين بطبيعة الحال أن ما رآته «أم شلبي»

كان هو حقيقة «خيال المآلة» ! إنها تعرف !

ولكنه من يكون؟؟ لا جدال في أن هذا شيء غامض

محير! أتكون «أم شلبي» قصيرة النظر إلى هذا الحد!...

خرج «عامر» إلى الحديقة وفي يده بطاريتة وسار صوب المطبخ :

وأخذ يبحث عن «شلي» . . . وعمّا إذا كان لا يزال يطلّ من خلال

الناقذة !

ولكنه لم يعثر بالطبع على شيء على الإطلاق . . .

استأنف المغامرون تناول طعامهم . وكانوا يشعرون بالإثارة ممّا

حدث . ولكن لم يخطر على بالهم أن ما رآته « أم شلبي » هو « خيال

المائة» يظنّ عليها بنفسه من نافذة المطبخ!

عامر: ولكن ليس في هذا حلٌ للمشكلة! .

عارف : ماذا تقصد ؟ .. أية مشكلة ؟

غامر: أقصد... أين أختي «شلي»؟ كان أمامنا في الحديقة

منذ وقت قريب . . والآن هو ليس هناك ! فأين ذهب ؟

عالية : دعنا : نحن نفكر في ذلك الآن . ربما انتزعه أحد

الفلاحين ليضعوه في غيطه !

2588

وعندما انتهت «أم شلبي» من إطفاء لمبات الحجاز، كان المغامرون

يستغرقون في نوم عميق ، يحلمون بخيال « المآة » الذي اختفى ..

وطارق الليل الغامض الغريب !

أما «روميل» ، الحارس الأمين ، فكان يرقد بجوار سرير

«سأزعه»، وإحدى أذنيه مشرعة إلى أعلى. وهذا يعني أنه لم يكن

مستغرقاً في النوم .

كان « روميل » نصف نائم . . لقد علمته أحداث اليوم أن يرهف

سمعه . وكان يشعر بغريزته ان حدثا ما سوف يقع !

وعندما انتصف الليل ، سمعت تلك الاذن المرحقة حصوتا غير

عادي. لم يكن هذا الصوت هو صوت « السقطة » المدوي الرنان .

بل هو صوت وقع أقدام ضعيف خافت ! ..

وكان «سمارة» يستغرق في أحلامه ، عندما يقرأ «روميل» وبرك

علی صدره و هو یزید . . .

استيقظ «سيارة» مدعوراً ، وأزاح «روميل» من على صدره وهو يتأفف - وقال :

- ألم أقل لك مائة مرة ألا تفعل ذلك ! سأطردك خارج الغرفة حالاً أيها الشقي ! ..

وإذا بالصوت الضعيف يصل فجأة إلى سمعه ! هذا صوت وقع أقدام ! أتكون الزائر الليل وهو في طريقه ليطرق الباب بالسقطة ؟ إذن لا غرابة في أن «روميل» أيقظه ! ياله من كلب حراسة يقظ أمين ! ..

نهض «سيارة» من سريره في هدوء تام . ثم أمسك بوقبة «روميل» حتى لا يندفع فجأة وراء مصدر الصوت ، فيفسد تلك الحركة الهوجاء محاولته للقبض على طارق الليل ، ولكيلا يوقظ المغامرين من نومهم الهنيء ! ..

فتفتح الباب ببطء وتسلل منه ، وهو يقول «لروميل» :
- لا صوت ولا حركة يا «روميل» . لقد آن الأوان لأقبض على طارق الليل متلبساً ! .. هذه المرة لن يفلت من يدي ! .. أشكرك يا «روميل» على إيقاظي في الوقت المناسب !



حمل «سيارة» حذاءه على كتفه ، وخرج يفتح به إلى الحديقة وهناك قاد به كسطنطين

« سمارة » . . النمر الكاسر ! ! . .



سمارة

تسلل « سمارة » بجلباب النوم
على أطراف أصابعه . وكان
يمسك بيده بطارية كهربائية ،
وباليد الأخرى « روميل » . فقد
كان يخشى أن يفلت منه زمام
الكلب ، فيفضحه نباحه . .
وفلت منه صاحب وقع الأقدام
الدخيل .

كان « سمارة » يتحسّس

طريقه حتى وصل إلى الردهة . وهناك أخذ يتصنّت في سكون الليل ،
وهو يربّت ظهر « روميل » لتهديته . لقد تأكّد له الآن أن الصوت
الخافت يأتي من المطبخ ! . .

ولكن المطبخ مقفل بالمفتاح . . و « أم شابي » ترقد في غرفة
بجاورة ! فمن يكون هناك ؟ . . وكيف دخل ؟ انتابه الخوف ، وأخذ
الشك يساوره .

ولم تكن هناك طريقة لاكتشاف مصدر الصوت ، سوى النظر

جلسته من ثقب المفتاح . انحنى على الثقب فلم ير شيئاً غير شريط من الشعاع القويّ منصوب إلى نقطة معينة لم يبينها من الثقب ! كما وصلت سمعة هسات خافتة !

تعجب «سمارة» لذلك : فالتزل بخلو من الكهرباء ! إذن فلا بد أن يكون الشعاع صادراً عن بطارية . . . ابتداء قلبه يدق بشدة . . . أيقونون لصوفاً ؟ . ولكن ماذا يكون في مثل هذا المطبخ الرقيق يجذب انتباه اللصوص . . . أو يستحق السرقة .

رأى أن يخرج إلى الحديقة ، ليطل من نافذة المطبخ ، علّه يكشف ما يجري فيه من أحداث غامضة !

وفي طريقه عبر الصالة توقف فجأة . وأخذ ينظر طويلاً إلى جلد النمر الملقى على الأرضية . . . يالها من فكرة شيطانية طرأت الآن على باله ! ! !

ماذا لو التحف بجلد النمر ، ودبّ على أربع ، مقلداً سير النمر في الغابة ! لقد سبق أن شاهده وهو يعسّ في أحراش الهند . . . بل اشترك في صيده أيضاً ! ! وتذكركم أصابه من ذعر عندما شاهده لأول مرة وهو يتبع فوق «الماشان» !

لاشك أن هذه فكرة سوف تبتّ الرغب في قلوب هؤلاء الطفيلين . وكان يضحك في سرّه عندما تخيلهم وهم يولون أمامه

الأذيال . . . خوفاً من بطشه وجبروته ! ! .

حمل «سمارة» جلد النمر الثقيل على كتفه وخرج يترنح به إلى الحديقة . وهناك تدبّر به كالمعطف ، فشرع بالدفع في برد الليل الفارس . ثم ثبت رأس النمر فوق رأسه كالطاقية ! . . . قيدا كأى نمر مفترس . كم كان يؤذ أن يراه المغامرون في هذه اللحظة بزيه الجديد ! . .

وما كاد يسير في الحديقة على أربع ، وهو يتجه ناحية النافذة ، حتى شرع «روميل» في الزمجرة الخافتة ! كان «روميل» يحدق فيه بغضب ودهشة ! إنه لم يتعود بعد أن يراه بهذا اللباس الغريب !

ولما وصل «سمارة» إلى النافذة ، شبّ على قدميه ، وارتكز على إفريزها . ونظر إليه «روميل» ، وشبّ على الإفريز كما فعل سيده ! ولدهشة «سمارة» الشديدة وذعره ، فوجئ برؤية ثلاثة رجال أشداء ، تبدلوا القسوة المتناهية والشر في عيونهم . وكان أحدهم يهّم بالخروج من باب حجرة الكرار المفتوح إلى المطبخ ، وهو يحمل صندوقاً خشبياً صغيراً بين ذراعيه ، يكاد ينوء تحت حملة الثقيل ! ! .

وفي وسط المطبخ ، رأى بعض الصناديق الصغيرة المائلة ، وهي تراض متجاوزة ! ! .

ما هذا الذي يحدث أمامه؟ إنه لا يصدق عينيه! أهو في حلم؟!
وكان الرجال يعملون على ضوء بطارية كهربائية قوية مثبتة على
المائدة، ومصوبة داخل باب الكرار...!

وفجأة لم يطلق «روميل» صيراً على السكوت... فتنبه! !
التفت الرجال نحو النافذة فحفظت عيونهم من الذعر والهلوع!
أما الصندوق فقد سقط من يد حامله على الأرض من هول ما رأى!
جسد الرجل في مكانه، وتسمرت قدماه في الأرض، وصاح
بصوت مرتعش:

- أترى ما أراه يا «عويضة»؟! انظر خلفك إلى النافذة!...
نظر «عويضة» إلى النافذة، ثم قرّك عينيه وهو لا يصدق نفسه،
وتحسّر صوته، وقال:

- أصبح ما أرى!... أرى نمراً يجاور ثعلباً!... أين المقر؟
لقد هلكنا يا «أبوسريع»! ! !

تغير «سمارة» فيما يفعل بعد أن قضحه «روميل»! فرأى أن
أسلم الأمور هو أن يخلع عنه جلد النمر، وينصرف مسرعاً إلى الخارج
قبل أن يلحق به اللصوص!...

ولكن أحد الرجال قفز وراءه من النافذة في سرعة البرق،
وأمسك بتلابيبه. في حين كان «روميل» يشتبك مع ساق الرجل في

عراك مريب، دفاعاً عن سيده...

ولكن بعد أن تأكد للرجل أنه كلب وليس ثعلباً، ركله ركلة
أطاحت به بعيداً. ثم سحب «سمارة» إلى المطبخ بعد أن أعطاه علقّة
لن ينسى طعمها مدى الحياة!...

عويضة: ها أنذا قد أتيت لك بالنمر المفترس يا «أبوسريع»!
أبوسريع: ماشاء الله... ما معنى هذه الشقاوة؟!...

سمارة: أنا الذي أسألكم... ما معنى وجودكم في منزلنا بعد
منتصف الليل!... ليس لكم الحق في التهجم علينا! ! !

لم يلتفت إليه «أبوسريع». بل أصدر أمره إلى «عويضة» بأن
يرج «سمارة» داخل حجرة الكرار... هو وكلبه!...

استأنف الرجال عملهم غير آيين «سمارة». وأخرجوا باقي
الصناديق الخشبية الصغيرة الثقيلة. ثم أغلقوا باب الكرار عليها
بالمفتاح!

جلس «سمارة» على صندوق خشبي فارغ، في حين ريش
«روميل» تحت قدميه وهو يهز ذيله هزاً عنيفاً. وكان «سمارة» ينظر
إليه نظرة لوم وعتاب صامتة! ألم يكن سبباً في قضح أمره!

ساد المطبخ السكون التام، ولم يعد «سمارة» يسمع شيئاً. فتأكد
أن الرجال قد رحلوا، وحملوا معهم الصناديق الخشبية الصغيرة.

بالسوء الحظ ! لقد كانت القرصة أمامه سائحة لاقتفاء أثر
الرجال ، وعلى وشك أن يكتشف مكان تلك الصناديق ! وربما
تكن أيضاً من الكشف عن هويتهم ! . .

ولكن ماذا يمكن أن تحويه تلك الصناديق ؟ صحيح أنها
صغيرة ، ولكنها ثقيلة ، بالكاد يقدر على حملها رجل قوى مثل
« غريضة » ، أو « أبو سريع » !

وهل هي تخص والد أصدقائه المغامرين ؟ وإذا كانت تخصه -
وهي ولا شك على قدر من القيمة المادية وإلا لما سعى وراءها هؤلاء
الرجال - فلماذا يتركها مهملة في هذا المكان المتعزل عرضة للزهب
والسلب ! ! .

ولكن التفكير لم يسعه . . فهو الآن في ورطة ! إنه سيقضى هذه
الليلة الليلاء حبيس الكرار ، إلى أن تستيقظ « أم شلبي » في الفجر
لتهين طعام الإفطار . وعندئذ سوف تنزع إلى نجدته ، بعد أن تفاجأ
بوجوده في الكرار ذي المفاتيح المفقود ! ! . لاشك أن « أم شلبي »
ستفقد عقلها !

كان « سارة » يرتجف من البرد ، فأضاء بطاريته وأدارها ، فوجد
بعض الركائب الفارغة ، فاضطجع عليها بعد أن تدثر بواحدة منها .

أما « روميل » فقد رقد داخل مقطف كبير فارغ . . في انتظار
الصباح !

كان المغامرون نياماً ، فلم يشعر أحد منهم بغيابه « سارة » أو
« روميل » . كما كانت « أم شلبي » تجهل ما يجري حولها ، بالرغم من
قربها للمطبخ ، فتومها ثقيل !

وعندما استيقظت في الفجر ، خرجت إلى الردهة لتجهز مائدة
الإفطار للمغامرين ، ولكنها فوجئت باختفاء جلد الهر !
أصابها الدهشة ، وبدأ عليها الحوف . أين اختفى ؟ ومن الذي
أخذه ؟

إن أحداثاً غريبة تجري حولها منذ وصول هؤلاء الأولاد
المغامرين !

وفي الطابق العلوي ، بدأ « عارف » - لاستيقاظ . ولكنه لم يجد
« سارة » في سريره الجاور ! فاعتقد أنه ذهب إلى غرفة « عامر »
لايقاظه ، أو نزل إلى الردهة . أو أخذ « روميل » في تزهته
الصباحية !

هبط « عارف » السلالم ، فوجد « أم شلبي » تنقف وسط الردهة
وهي تجول بنظرها هنا وهناك . ولكنه فوجئ مثلها باختفاء جلد الهر !

عارف : أين جلد الخمر يا أم شلبي ؟ كان هنا حتى مساء
الأمس !

أم شلبي : لا أعلم ! ألم يحمله أحدكم إلى غرف النوم ؟
عارف : ولماذا ؟ إن مكانه هنا ! ولا حاجة لنا به في غرف
النوم !

أم شلبي : ربما سحبه الكلب إلى الحديقة ! فالكلب شقي كما
تعلم !

عارف : وكيف خرج به والباب مغلق ! والنافذة كذلك . . .
أم شلبي : آه . . . صحيح . . . إذن من نظّبه أخذه ؟
نظر إليها « عارف » ، ثم ضحك وقال لها :
عارف : يجوز « خيال الماتة » ! !

أم شلبي : هذا ليس بمستبعد ! فكل شيء أصبح جائزاً في هذا
المنزل !

ولما نزل « عامر » و« عالية » ، خرج الجميع إلى الحديقة ، حيث
عثروا على الجلد ملقى بالقرب من نافذة المطبخ .

أخذتهم الدهشة من ذلك ! فلا أحد منهم اقترب من جلد الخمر !
عامر : ولكن أين « سارة » و« روميل » ؟ إنها محتفيان !
عالية : هذه إحدى الأعيب « سارة » ! إنه يجب أن يداعبنا !

ولكنها لعبة مكشوفة !

وما كادت « عالية » تتم جملتها ، حتى وصلتهم غير نافذة المطبخ
صيحات عالية : ودقات عنيفة ، ونباح « روميل » . . .

كان الصوت صوت « سارة » وهو يصرخ بأعلى صوته :
- الحقوقي ! أسرعوا في إخراجنا من الكرار ! نحن مسجونون

هنا ! ! ! النجدة !

عالية : هذا صوت « سارة » يخرج من الكرار ! ! ولكن من
أدخله الكرار ؟ هذا ملعوب ثان من « سارة » !

أم شلبي : بسم الله الرحمن الرحيم ! . . هذا مستحيل ! . .
فالكرار مقفل ومفتاحه مفقود ! فكيف دخل ؟ إلى ساجن ! . .
أسرع الجميع إلى الداخل ، ووقفوا أمام باب الكرار ، وكان
« سارة » مازال يصيح ويدق عليه بعنف ! و« روميل » ينيح بجواره !
عامر : أين المفتاح يا « سارة » ؟ أنا لا أرى مفتاحاً هنا ! كيف
دخلت ؟ أو من أدخلك ؟

سارة : مع هؤلاء الوحوش ! أخذوه معهم ! ! اكسر الباب
بسرعة كدنا نخشق !

صست الجميع وهم حيارى ! كيف دخل « سارة » ؟ ومن هم
هؤلاء الوحوش الذين أخذوا معهم المفتاح ؟ هذا المفتاح الذي

لا وجود له ! ! . . إن الأمور تزداد تعقيداً !

عارف : ما العمل الآن والمفتاح مع والدتنا ! . . هل سنتنظر وصولها حتى نختنق «سيارة» ؟ ! . .

عامر : ليس أمامنا إلا تحطيم الباب . . يجب إنقاذه فوراً ! . .

عالية : لا داعي لكسر الباب ! . . لنجرب مفاتيح المنزل . .

قد يفتح أحدها !

نجحت فكرة «عالية» أخيراً . . وتمكنوا من إنقاذ «سيارة» ! . .

وماكاد «سيارة» يرى ضوء النهار حتى اندفع خارجاً

كالصاروخ وهو يلهم . يتبعه «روميل» مطأطئ الرأس !

ياها من ليلة عصبية قضاها في هذا الكرار الضيق المظلم ! . . إن

ذكراها لن تفارقه مدى الحياة !



لغز طارق الليل ! !

وقف «سيارة» أمام

المغامرين وهو مطرق الرأس .

وأخذ «عامر» في استجوابه .

فقال له :

عامر : ما الذي جاء بك

هنا يا «سيارة» ؟ كيف دخلت

الكرار ؟

سيارة : لقد عانيت كثيراً

من البرد في الداخل ! ولكنني

استعنت بروميل . . كنت آحتضنه كالقربة الساخنة !

عارف : أسألك ماذا كنت تفعل داخل الكرار ؟ ومن حبسك ؟

أجب ! . .

سيارة : ياها من مغامرة رهبة اجتريتها ليلة أمس ! بدأت بأن

سمعت صوتاً بعد منتصف الليل . . فتزلت لأعرف مصدره . . وكنت

أظنه طارق الليل ! ! . . ولم أشأ إزعاج أحد منكم !

عالية : يالك من جرىء يا «سيارة» ! ! . .



عالية

بدأ «سمارة» في رواية مآثره من أحداث الأمس وقض عليهم تجربته المثيرة مع جلد الثمر ونقل لهم ما رآه ..

دهش الجميع عند سماعهم قصة الصناديق ، وقالت «أم شلبي» : كيف ذلك ؟ أنا قفلت باب الكرار بنفسى بالمفتاح قبل انصرافى للنوم .. وحسب علمى لا توجد صناديق داخل الكرار ! ! !
سمارة : ولكنه كان مفتوحاً ! أما الآن فهو مغلق بالمفتاح .. وبالمزلاج من الداخل كما ترين ! ورأيت الصناديق بعينى رأسى ! عالية : آه .. الشباك ! لقد دخلوا وخرجوا عن طريقه ! إن أكرته مكسورة !

أم شلبي : لقد وعدنى «أبو شلبي» أن يرسل أحداً لإصلاحه اليوم !

عامر : وما الفائدة ! بعد أن وقع المخطور .. وسبقنا هؤلاء اللصوص ! ولكن كل ذلك لا يهم .. المهم فى الصناديق ! .. ما هى حكاية الصناديق هذه ؟ ! !

كانت الأحداث التى مرّت بهم فى المنزل الصغير المتعزل عجيبة ! ولكن كان أعجبها بلا شك وأخطرها .. هو حادث الصناديق الثقيلة الصغيرة الخبأة فى الكرار ، والاستيلاء عليها خلصة بعد منتصف

الليل ، ثم جعلها إلى حيث لا أحد يعلم !

وكان «عامر» يتحدث إليهم وهم يلتفون حول المائدة فى الردهة ، فقال : لقد بدأت الآن الحوادث التى مرّت بنا تتجمع وترتبط وتتجلى قليلاً ! .. وفى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة !

عارف : كيف ؟ فما صلة طارق الليل الغامض مثلاً .. بالرجل الذى كان يتلصص علينا من الحديقة ؟ أو القفاز الغليظ ؟ أو الضيف المجهول الذى اختلّ الدوّار ! !

سمارة : وما الصلة بين هذا كله ، وبين «خيال المآته» الذى أطلّ على «أم شلبي» من النافذة ، وكاد يصيبها بالجنون ! ! !

عامر : أنت أخطأت يا «سمارة» عندما انفردت وحدك باكتشاف مصدر الصوت ! كان الواجب أن نتكاتف معاً ! ربما كنّا أقدر عندئذ على القبض على هؤلاء الأشرار .. وسجنهم فى الكرار .. بدلاً من أن يسجنوك أنت و«روميل» ، لقد أتحّت لهم بعملك هذا فرصة الفرار !

عالية : أنت تقول يا «عامر» إن الأمور ابتدأت تتكشف لك ! وأن فى إمكاننا أن نخرج منها بنتيجة .. كيف ؟
أخذ «عامر» يفكر طويلاً .. والجميع ينتظرون حوله وقد نفذ صبرهم لكى يفصح لهم عما يدور فى ذهنه .. وأخيراً قال :

عامر : اسمعوا ! .. لم يكن محيئنا إلى هذا المنزل في الحسبان ..
أليس كذلك ؟ .. بل وصلنا هنا فجأةً بمناسبة إجازة نصف السنة !
وكان ذلك على أثر فكرة عارضة طرأت ليأيا . ! وكان المفروض أن
يظلّ المنزل مغلقاً حتى الصيف .. حيث كنا ستقضى فيه إجازتنا
الصيفية الطويلة !

عارف : هذا صحيح .. والبلدة كلها على علم بذلك .. ولم
يكن أحد ينتظر وصولنا ! !

عامر : أليست هذه فرصة ذهبية يمكن أن ينتهزها بعض الأشرار
لاستغلال هذا المأوى الفريد ؟ !

عالية : كأن يحبوا فيه مثلاً بعض البضائع المسروقة ..
أو المهرّبات ..

عارف : هذا جائز جداً ، فالمنزل بعيد عن الأنظار .. وأصحابه
فوق كلّ شبهة ! لن يشك أحد في والدنا .. أو فينا !

عامر : فاقترحوا المنزل عنوة .. أو دخلوه من نافذة المطبخ ..
وضمّوا مفاتيح لجميع الأبواب ، وهذا سهل ! وجاءوا ببضاعتهم
أو مهرّياتهم وأخفوها في الكرار .. وأخذوا مفتاحه معهم !

عالية : إلى أن يحين الوقت المناسب لإخراجها ! كما حدث !
سجارة : ولكني كشفت سرهم .. وأفسدت عليهم خطّهم !

وكدت أقبض عليهم ! ! !

عامر : مضبوط ! وقلّب وصولنا المفاجئ إلى المنزل خططهم ظهرآ
على عقب ! وكان لابدّ لهم من إبعادنا عن المنزل !

عالية : ولذلك كان واحدٌ منهم يتجسّس علينا من الحديقة ..
وأسقط قفازه في الحصى الصغير !

عارف : هذا مفهوم ! .. ولكني لا أفهم أن يطرق أحدهم
الباب ليلاً .. ثم يخنّي بطريقة غامضة ! هذا عمل صياني ! ..
سجارة : ولا كيف ولماذا يطلّ «خيال المائة» على «أم شلبي» ..
وأنا أعتقد الآن أن «أم شلبي» لم تكن واهمة حينما كانت ترى خيال
المائة وهو يطل عليها .

عامر : نعم .. هي صادقة في قولها .. والتفسير الوحيد لكل
ما حدث هو محاولة إرهابنا بمثل هذه الألعاب الصنيانية المكشوفة
لكي نرحل عن المنزل .. ونتركه لهم يعيشون فيه فساداً !

عارف : أو على الأقل حتى ينقلوا بضائعهم إلى الخارج !
سجارة : نظرتك صحيحة يا «عامر» .. والآن أنا متأكد أن
الطارق الليلي هو «عريضة» بعينه ! لا أحد غيره يمكنه أن يطرق
الباب بهذه القوة .. إن يده ثقيلة غليظة .. لقد ذقت طعمها
بنفسي ! ! !

عامر : ولما فشلت خطتهم في إرهابنا وإبعادنا .. لم يجحدوا بدءاً من إخراج الصناديق من الكرار .. ونقلها إلى مكان أكثر أمناً .. ولكن «سبارة» أفسد عليهم غرضهم ! وكشف سرهم !
عالية : ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نقلها بعيداً .. وهي الآن في حوزتهم !

عامر : مهمتنا الآن أن نعرف ما بداخل الصناديق .. وأين أخفوها ! قد يكون الأمر بالغ الخطورة ! .. وإننا نسعى وراء عصابة رهيبة !

عارف : وماذا علينا الآن.. أن نفعله ؟ ..

عامر : أن نقتنى أثرهم ! إذ لا بد أنهم تركوا وراءهم آثاراً واضحة ، وهم يفرون بحملهم الثقيل !

عالية : الآن وقد وضع أماننا كل شيء .. فقط لدى سؤال أرجو أن يجيبني أحدكم عنه ! ..

عامر : وما هو يا «عالية» .. أظن أنه لم يعد أماننا شيء غامض !

عالية : تذكرون أن الطارق الليلي ترك بصمات قدميه وهو يسير في اتجاه واحد .. أي في أثناء وصوله حتى الباب .. ولكنه لم يترك أثراً لعودته ! .. فأين ذهب ؟ هل تسخر في الهواء ؟ .. أو انشقت عنه

الأرض ؟

لم يجيبها أحد عن سؤالها .. بل كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً وهم في حيرة شديدة .. إذ لم يكن من السهل حلّ هذا الغموض ! خرجوا إلى الحديقة ليروا ماذا يمكنهم التوصل إليه . في حين تخلّفت «عالية» لتساعد «أم شلبي» في قضاء بعض الشئون المتبرية . وكانت «عالية» تروى لها ما توصل إليه «عامر» بذكائه واستنتاجه .

أم شلبي : كل ما أعرفه أني لا أستريح لما يجري حو لي .. كان الحال هادئاً قبل مجيئكم ! ..

عالية : لم يعد هناك ما يخيفك .. ولا داعي بعد الآن لحمل يد «الهاون» ! ! أو غلي الماء ! .. لقد رحلوا إلى غير عودة !

وبينا هما في حديثهما ، و«عالية» تحاول غيباً تهدئتها وإبعاد الخوف والشلك عنها ، إذ دخل عليها «عامر» وهو مهلّل الوجه ، منفرج الأسارير ، وقال :

عامر : أبشري يا «عالية» لقد توصلت إلى حلّ لغز الطارق الليلي !

أم شلبي : إذن فهو لم يتسخر في الهواء .. أو تنشق عنه الأرض ؟ !

عامر : بالعكس .. فللمسألة بسيطة جداً .. ولكن ككل شيء

بسيط فهو بعيد عن الإدراك بسهولة لقد سار «عويضة» القهقري.
بظهره أثناء عودته بعد طَرُق الباب . . وكان يضع قدميه في نفس
البصنات التي خلَقها أثناء ذهابه إلى المنزل ! ! ! .

عالية : يالك من ذكّي يا «عامر» . . لم يخطر هذا على بالي
أبدأ . . هكذا تمكن هذا الشقي من خداعتنا بكلّ بساطة ! . .
عامر : والآن هيا بنا في أثر الأشقياء إلى حيث أخفوا
الصناديق . . وسيرشدنا «روميل» إلى مخبئهم !

ذهب المغامرون ليستقلّوا دراجاتهم . ولكنهم عندما وصلوا إلى
حيث تركوها يخوار جدار المنزل . فوجئوا باختفائها ! ! ! .
أين ذهبت الدراجات ؟ فالدراجة لا تسير وحدها ! . .
أصيب المغامرون بالدهشة وخيبة الأمل . وأخذوا يقتشون عنها في
أرجاء الحديقة دون جدوى ! . .

عارف : من يكون أخذها يا ترى ؟ . . إنه أكثر من رجل !
فرجل واحد لا يمكنه أن يقود ثلاث دراجات !
عامر : «عويضة» و«أبوسريع» ومعها شخص ثالث وأظن أنّي
أعرف السب ! !

عالية : كلّنا يعرف السب ! . . لينقلوا عليها الصناديق الثقيلة !
والآ كيف كانوا سينقلونها ؟ ! . .

كانت «عالية» مصيبة في ظنّها . إذ أنّهم سرعان ما اكتشفوا آثار
العجلات الغائرة بحملها الثقيل . تبدو واضحة في الأرض الطينية
الليّنة !

عامر : انظروا ! هذا هو أثر إحدى الدراجات . . وهذا هو
الثاني . . وهناك الثالث . . والآ . . إلى الخبأ السريّ ! هيا في
المقدمة يا «روميل» ! ! ! سترى أين تقودنا هذه العلامات ! . .



نعين الساقية !

سار المغامرون وهم يتتبعون
آثار العجلات الغائرة . وكان
«روميل» في المقدمة ، وأنفه
الحساسة تلاصق الأرض .
عامر : والآن سنرى إلى أين
ستؤدى بنا هذه الآثار .
عارف : أرجو ألا ينتهى بنا
المطاف إلى المزارع . . حيث
تندثر معالمها !



عالية : أو إلى طريق مسدود أو مرصوف . . فلا يظهر لها أثر !
سماة : أو إلى التربة . . فالماء بارد يصعب الغوص فيه غير ما به
من مصادر الأمراض الخطيرة ! . .
خرجوا من البوابة إلى الطريق الضيق المخاضى للترعة ، وكانوا
يسرعون الخطى للتحاق «بروميل» . لقد كفاهم مؤونة التطلع إلى
الطريق تحت أقدامهم للبحث عن الآثار . كان «روميل» يقوم عنهم
بهذه المهمة خير قيام !

ولكنهم ما كادوا يتعدون عن المنزل قرابة المائة متر ، حتى شاهدوا
«روميل» يتوقف فجأة !

عامر : إنه توقف بجوار الساقية ! لماذا ؟ . . فليس فيها ما يلفت
النظر !

سماة : ربما تمهل لكى نلحق به ! . .

عالية : أو ربما اكتشف شيئاً غريباً !

وعندما لحق به المغامرون وجدوه يربض بجوار الساقية ، وهو ينبج
نياحاً عالياً متوصلاً ! .

عامر : غريب أمر «روميل» ! ماذا لفت نظره في هذه الساقية
الخربة المهجورة ؟ . .

تجمع المغامرون حول الساقية وهم يبحثون حولها تارة ، وبطلون
في خزانها العميق الجاف المهمل !

ولكنهم لم يجدوا شيئاً يلفت النظر ! إن الحشائش تنمو في قاع
البئر . ولو كان هناك صندوق واحد ملقى في قاعه لظهر وبان ! . .
هذا فضلاً عن أن قواديس الساقية المعدنية قد علاها الصدأ .
إنها غارقة فلم تستعمل والأرض حولها جافة منذ سنوات طويلة
مضت !

أما الخطيرة المجاورة للساقية فكانت كما هي . . حوائطها متآكلة . .

وجدرانها متهدمة ! .. إنها لا تصلح الآن لإيواء أعجل صغير !
أيكون « روميل » قد أخطأ ! لا ! إن شيئاً ما قد شدَّ انتباهه إلى هذا
المكان !

وفجأة تركهم « روميل » وغدا نحو الحظيرة ودخلها . ثم أخذ ينبح
عليهم . وكأنه يدعوهم إليه !

هرع إليه « سارة » وما كاد يدخل الحظيرة وراءه حتى سمعوا صوته
وهو ينادى عليهم قائلاً :

سارة : تعالوا بسرعة ! .. انظروا ماذا كشف عنه « روميل » !
إنها مفاجأة العمر !

شاهد المغامرون كومة كبيرة من القش ، كان « روميل » يعمل في
إزالته بهتة ونشاط .

وهنا ظهرت تحت الدراجات الثلاث ملقاة على الأرض ! !
بالفرحة التي غمرتهم فجأة ! ها هي في دراجاتهم . عادت
إليهم !

عارف : الحمد لله . . لقد عثرنا على دراجتنا . .
عامر : ستركها هنا كما هي . . وإلا انكشفنا ! .. ووجود
الدراجات في هذه البقعة مؤشر طيب ! إننا سوف نعثر على بُعْثنا
قريباً !



عمل روميل على إزالة كومة القش . فظهرت تحت الدراجات الثلاث

عالية : لابد أن تكون الصناديق قريبة من هذا المكان .
ماداموا نقلوها على الدراجات ! .

سيارة : ولكن أين ! ! فالترازع مترامية الأطراف ! أوروبما ألقوا
بها في التربة ! ! .

نعم ! هذا هو السؤال ! أين هي الصناديق ؟ ؟ . أن تكون في قاع
التربة ؟ أو وسط المزروعات ؟ أو مدفونة تحت الأرض ؟ أو ملقاة في
الساقية المهجورة ؟ أوليست في أحد هذه الأماكن على الإطلاق ؟
كل هذا محتمل !

عارف : من المحتمل أن يكونوا قد وصلوا بالصناديق إلى هذا
المكان ثم نقلوها بعيداً في سيارة !

عامر : افترض محتمل ! المهم أن نجد في البحث عنها أية
وسيلة !

عالية : أعتقد أنها ليست بعيدة عن هذه البقعة . فلابد طريق هنا
يصلح لسير السيارات ! ! . لابد أن يتركوها هنا . .

جلس الغامرون على عجلة الساقية الخشبية يشاورون في أمرهم .
وأخيراً استقر رأيهم على أن يأخذ كل منهم طريقاً وسط الزرع . لعلهم
يعثرون على ضالّتهم .

ولكن «روميل» رفض أن يتزحزح عن مكانه بجوار

الساقية ! ! . ياله من كلب عنيد !

حاول «سيارة» إثناؤه عن عزمه وغناؤه . ولكنه أخفق ! وكان

كلما قاده بعيداً : هرب منه ليعود ويجلس بجوار الساقية !

عامر : الصناديق هنا ! ! . أغلب الظن في هذه

الساقية ! ! .

عارف : هذا مستحيل ! فكما ترى لا شيء في الساقية ! ولا أثر

لخفر : فالحشائش القديمة تنمو في قاع البئر !

عامر : لا شيء مستحيل ؟ المستحيل هو أن تخطئ غريزة

الكلب ؟ ؟

سيارة : أوافقك يا «عامر» . . «روميل» لا يخطئ أبداً ! !

ساد الصمت بينهم لفترة طويلة ، وكلّ منهم يفتق ذهنه عن أسير

السيبل للتوصل إلى مكان الصناديق ! إلى أن نطق «سيارة» وقال :

سيارة : أنا متطوِّع للتزول في بئر الساقية ! ! .

عالية : لا يا «سيارة» ! في هذا العمل خطورة كبيرة عليك . .

قد تكون هذه البئر جيّاً للشعابين ! ! .

سيارة : يمكنني أن أتدلى بحبل حتى لا ألمس القاع ! ومع ذلك

فأنا لا أخاف الشعابين . . فكثيراً ما قتلتها في صحراء مرسى

مطروح ! ! .

عالية : ولا هذا .. قد ينقطع بك الحبل ! فتسقط في البئر
ويذوق عنتك !

لم يجد المغامرون بعد ذلك ما يمكنهم أن يفعلوه ، بعد أن أُرِف
موعد الغداء . فانصرفوا إلى المنزل ، على أن يعاودوا التفكير والبحث
والتنقيب في وقت آخر .

عاود المغامرون البحث في كل مكان طوال اليوم ، حتى هجم
عليهم الظلام . ولكنهم باءوا بالفشل . ومع ذلك لم يساورهم
اليأس ، بل ازدادوا تصميماً فوق تصميم ! فأرجئوا البحث إلى اليوم
التالي .

وفي الصباح الباكر ، كان « عامر » و « عالية » يرتديان ملابسهما ،
عندما استأذنت « أم شلبي » في الدخول إلى غرفتها .
نظر إليها « عامر » فلاحظ الاضطراب الشديد على وجهها ،
فسألها :

عامر : ماذا بك يا « أم شلبي » ؟ هل زارك « خيال المآنة »
ثانية ؟ ..

أم شلبي : بل حدث شيء أغرب بالأمس ! أغرب من ظهور
خيال المآنة !

عامر : ليس هذا بجديد علينا .. خيراً يا « أم شلبي » !
تكلّمي !

أم شلبي : استيقظت بالأمس بعد منتصف الليل على صوت
غريب !

عامر : تعين أن الطارق الليلي عاود لعبته معنا !
أم شلبي : كلاً .. بل سمعت صوتاً لم يسمعه أحد في هذه
الناحية منذ ستين طويلاً ! كان قد اختفى .. ولكنه ظهر من جديد !
عالية : وما هو ؟

أم شلبي : صوت نعيم الساقية ! ..
عامر : وما الغرابة في ذلك : فالسواقي منتشرة في الأرياف !
ربما كان أحد الفلاحين يسقي زراعته ليلاً ! ..

أم شلبي : ولكن لا توجد في زمام « سنديون » كلها غير ساقيتكم
المهجورة ! كان الصوت صوتها ! فأنا أميزه عن باقي السواقي ! ..
عامر : ربما كنت تحلمين ! .. وهل استمر نعيمها
طويلاً ؟ ..

أم شلبي : لا .. لدقائق معدودات .. ولكنه وصل أذني
واضحاً عالياً في سكون الليل ! لقد أيقظني من نومي مع أن نومي
ثقيل !

نظر «عامر» إلى «عالية» نظرة ذات معنى ، ثم قال :
عامر : ربما كنت تخلمين يا «أم شلبي» .. وعلى العموم لا أهمية
لذلك .. دارت الساقية أو توقفت !

أم شلبي : أنا خائفة !
عالية : وماذا يخيفك من دوران الساقية ؟
أم شلبي : من الذي يدير ساقية مهجورة وجافة ؟ وبعد منتصف
الليل ! ! !

وبعد أن هدأت «عالية» من روع «أم شلبي» .. انصرف
المغامرون إلى الحديقة ، حيث عقدوا اجتماعاً عاجلاً فيما بينهم لدراسة
هذا التطور الأخير أو العمل في ضوء ما قد يستخرجونه من
نتائج ! ..

عامر : تقول «أم شلبي» إنها سمعت صوت الساقية بعد منتصف
الليل .. وهذا يعني أن الساقية دارت بالفعل ! فأذن الفلاحة لا تخطئ
صوت نعيها .. فهو كصوت الموسيقى في أذنها !

عارف : هذه واقعة هامة .. بل نقطة التحول في بحثنا عن
الصناديق !

عامر : تماماً ! من الآن .. سوف نركز بحثنا في الساقية ..

عالية : طرأت على بالي فكرة ! ! !

عارف : هات ما عندك يا «عالية» من أفكار نيرة !
عالية : سندير الساقية بأنفسنا .. ونرى ماذا سيحدث !
سمارة : كيف ؟ لقد حاولنا مرة فاستعصت علينا !
عالية : لم أقصد أن نديرها بأيدينا !
سمارة : إذن كيف سنديرها ؟
عالية : سنستعير جاموسة «أبو شلبي» .. وهو لن يبخل بها
علينا ! ..

هذه فكرة ضائبة لا بأس من تجربتها ! لماذا لا يستعيزون
الجاموسة ويربطونها في الساقية ويديرونها ؟ .. كيف لم تخطر على
بالهم هذه الفكرة من قبل ! إنهم لن يخسروا شيئاً ! ..

وحتى إذا لم يتوصلوا إلى الكشف عن الصناديق ، فإنهم سيقضون
على الأقل وقتاً طيباً في الاستمتاع بصوتها الموسيقي ! ..
أما إذا أسعفهم الحظ وكشفت لهم الساقية عن سر لغز الصناديق

الخشبية الثقيلة ! ! فهذا موضوع آخر !

عارف : آتة مشكلة ! إن المسألة واضحة ! وأصبحت مغامرتنا

على وشك الانتهاء !

عامر : بالعكس . . إنها لم تبدأ بعد ! . . أما المشكلة فهي

كيف سنبرّر «أم شلي» حاجتنا إلى جاموسنا ؟ فنحن نريد أن يبقى

الأمر سرّاً فيما بيننا !

سمارة : صحيح هذه مشكلة ! لو طلبنا منها حماراً لكان الأمر !

أما الجاموسة فلا . . . فليس من السهل على القلاح أن يقرط في

جاموسة !

عالية : وحتى إذا حصلنا على الجاموسة ، فليست لدينا الخبرة

لإدارة الساقية ! . . هذه مسألة فنية !

سمارة : أنا أعرف كيف ! لا تحملوا هما ! . .

عامر : إذن ستترك لك يا «عالية» مهنة مفاوضة «أم شلي» في

طلب الجاموسة ! ما رأيك ؟

عالية : وهو كذلك . .

تولّت «عالية» مكاشفة «أم شلي» بلباقتها وكياستها . وأخيراً

نجحت في إقناعها بالتوجه فوراً إلى زوجها حيث يعمل في الغيط :

قوالب الطوب !!

رأى «عامر» ضرورة معاينة

الساقية مرة أخرى قبل أن

يدبروها . إذ لوصفت رواية

«أم شلي» ، لكان لا بد من أن

يترك الأشقياء آثارهم ، فضلاً

عن آثار خوافر الجاموسة التي

أدارت الساقية ! ! . .

ولما ذهبوا إلى الموقع ،

شاهدوا الآثار بادية للعبان .

وكانت أظهرها خوافر الجاموسة وهي تحيط بالساقية . كما أن مخلفاتها

كانت تتناثر هنا وهناك . .

إذن لم تكن «أم شلي» تحلم بتعير الساقية ! !

هلّل المغامرون لهذا الكشف المثير . إنهم أصبحوا الآن على قاب

قوسين أو أدنى من العثور على الصناديق ، وإمطة اللثام عما يدور

خوفهم من أحداث !

عامر : لم يبق أمامنا الآن إلا مشكلة واحدة . . ولكنها مشكلة



عارف



بعد ساعة وصلت «أم شلبي» بصحبة زوجها وهو يقود الجاموسة

وإحضاره مع الجاموسة !
وبعد ساعة وصلت «أم شلبي» بصحبة زوجها وهو يقود
الجاموسة وهي تتهدى وراءه !
كان «صميده» ، أوكما ينادونه في الناحية باسم «أوشلي» ،
عنواناً على الفلاح المصرى الطيب . ولم يكن يدرى بما يدور فى المنزل
من حوادث عجيبة . فلا وقت عنده لتصديق مثل هذه الترهات التى
تروىها له زوجته من آن لآخر . ! إنه يفلح غيطه من شروق الشمس
حتى غروبها .
صميده : صباح الخير . . ! سمعت من «أم شلبي» أشياء غير
معقولة ! هى دائماً كلامها كثير .
عامر : وما رأيك أنت فى ذلك ؟
صميده : «أم شلبي» تقول إن «خيال المائة» طللّ عليها من
الشباك ! ! ! الظاهر أنها تهلوس ! . . .
عامر : «خيال المائة» اختفى من مكانه ! هذه واقعة تأكدنا منها
بأنفسنا !
صميده : أنا الذى ثبتته بيدي فى الأرض ! كيف نخفى ؟ وأين
ذهب ؟
عامر : اللهم الآن أننا فى حاجة إلى مساعدتك فى إدارة

صميذة : تقول « أم شلبي » إن هناك صناديق في البئر ! ! . .
فقلت لها . . ليس في البئر غير الحشائش والثعابين ! . .
عامر : على كل حال فلنجرّب ! والمثل يقول : « الميّة تكذب
الغطّاس » ! !



كان المغامرون يقفون حول الساقية وهم في أشد حالات القلق .
فما هي إلا دقائق معدودات يتحقق بعدها إما فشلهم أو نجاحهم ! قد
ينجلى بعدها سرّ اللغز الغامض . . أو قد يزيد تعقيداً !
وكان « صميذة » ينهمك في ربط الجاموسة في عجلة الساقية
عندما أطلّ برأسه في قاع البئر وقال :
صميذة : لا تضيعوا وقتكم ! فقاع البئر فارغ ! إلا من
الحشائش والثعابين !

عامر : قاع البئر ! ! نحن لا نبحث في قاع البئر ! ! . .
صميذة : « أم شلبي » تقول إنكم تبحثون هنا عن صناديق !
ولهذا السبب تركت عملي في الغيط !
عامر : إننا في الحقيقة لا نبحث عن الصناديق ! ! فالصناديق
لا تهمّنا !

صميذة : إذن أنتم تضيِّعون وقتي ! سأرجع إلى الغيط
بحاموسني ! . .

عالية : إننا لا نبحث عن الصناديق ذاتها ، بل على
محتوياتها ! ! ! .

صميذة : سيان ! فالخزان فارغ . .

عامر : الخزان لا يهتنا في شيء ! ! ! . إنما تهتنا القواديس !
انفجرت أسارير « صميذة » بعد أن كان متجهماً ، وقال :
صميذة : آه . . الآن فقط فهمت ! . .

عامر : أخيراً ! الحمد لله . . نحن نعتقد أن الأشقياء أفرغوا
المحتويات من الصناديق ، وأخفوها داخل عدد من القواديس . .
عارف : ثم أداروا الساقية حتى تستقر هذه القواديس أسفل
العجلة في قاع البئر ليحجبوها عن الرؤية ! .

عالية : ولما كانت الصناديق صغيرة الحجم ، ثقيلة الوزن ،
فنحن على يقين من أن محتوياتها لا بد أن تكون ثمينة جداً ! ! .
عامر : والآن أدركنا الساقية حتى تظهر لنا القواديس السفلية . .

مقدار نصف دورة فقط !

ساد الصمت ولم يعد يُسمع غير نعيم الساقية . في حين كانت
أُنظار المغامرَيْن معلقة على القواديس المعدنية الصدفية !

وما كادت القواديس تصل إلى متناول يد « عامر » حتى أمر
بإيقاف الساقية . وتقدم ببطء وألقى نظرة داخل أول قادوس في
مستوى نظره .

فغر « عامر » فاه من الدهشة ، وانعقد لسانه عن الكلام ! ثم مدَّ
يده في بطنه داخل القادوس وأخرج شيئاً !

كان ما أخرجه أشبه بقالب الطوب ، مخفور عليه بعض الأرقام .
وكان القالب ثقيل الوزن ، حتى كاد يسقط من يده في قاع الساقية !
ما هذا الذي يراه ؟ أهى قوالب من رصاص !

وعندما رأى « صميذة » ما في يده ، ظهرت على عيانه إمارات
الحيرة وقال :

صميذة : أكلَّ هذا التعب من أجل حفنة من قوالب
الطوب ! ! ! .

وبعد أن ذهبت الدهشة والمفاجأة ، « عامر » صاح قائلاً :
سبائك ذهبية ! ! ! سبائك ذهبية ! !

كانت السبائك الذهبية تملأ أربعة قواديس . وكل قادوس منها
يحتوي على عشر سبائك ! أربعون سبيكة بالتمام والكمال !

أذهلت المفاجأة الجميع ، فجلسوا على الأرض لبعض الوقت
وكانَ على رؤوسهم الطير . ثم أخذوا يتباحثون فيما يجب عمله . بهذه

السيائك الذهبية . فالمسألة لم تعد تقتصر الآن على البحث عن بعض الصناديق الخشبية ! بل هي أخطر من ذلك وأدهى ! . .
شدّد « عامر » على « صميذة » و « أم شلبي » أن يتكتما الخبر ، إذ لو وصل سرّ هذا الاكتشاف إلى العصابة ، لكان لها معهم شأن آخر !
أوعلى الأقل لا ذت بالقرار ، وهو ما يعمل المغامرون على تفاديه بأي ثمن .

إن هدفهم هو تسليم المجرمين إلى يد العدالة ، لينالوا قضاصهم العادل .
وبعد أخذ وردّ ، استقر الرأي على ترك السيائك الذهبية مؤقتاً في مكانها داخل القواديس . وذلك حتى تطمئن العصابة إلى عدم تسرب سرّها !

إن المسألة الآن لا تقتصر على اتّجار عصابة في بعض سلع أو مهوريات . بل هي أخطر ممّا كانوا يتوقعون ! إن المسألة تمسّ أمن الدولة ، فتهدد الذهب يضرب باقتصادها ضرراً بليغاً !
وليس الهدف الآن من عملهم هو العثور على الذهب وتسليمه فقط ، بل القبض على هؤلاء المجرمين لإيقاف نشاطهم ، وعدم تكراره مستقبلاً !

عامر : هيّا بنا الآن إلى المنزل . . لا خوف على السيائك هنا . .

لا أعتقد أن العصابة ستظهر في وضح النهار لنقلها .
عارف : يجب الاتصال أولاً بالدنا بأية وسيلة . . لا بد من حضوره فوراً !
عالية : لنحاول مرة أخرى من تليفون العمدة . . لعلمهم أصلحو الخطّ .

وعندما وصل المغامرون إلى المنزل ، وجدوا في انتظارهم إشارة عاجلة من العمدة . قالت الإشارة إن الخطّ أصلح ، وأن والدهم يطلب منهم ضرورة الاتصال به فوراً ليطمئن على حالهم .
عامر : سأذهب حالاً إلى دار العمدة لأخبر والدنا بما حدث ، وأسأله المشورة ! والحضور في الحال . .

عارف : ونحن . . ماذا نصنع ؟
عامر : عليك أنت بملازمة « عالية » و « أم شلبي » بالمنزل ، وإياك أن تفارقها لحظة واحدة حتى أرجع . .
سمارة : وأنا . . .

عامر : أنت ستجسّس الكنز ! ستصيد السمك من التربة قريباً من الساقية . . وإياك أن يلهيك الصيد عن المراقبة . . ولا تنس أن تأخذ « روميل » معك !



عامر

خطبة «عامر» !

كان «سارة» يجلس وحيداً على حافة التربة ، وهو يدي بصّارته في الماء . وكان يبدو للناظر إليه أنه مستغرق بكلّ حواسه في عمليّة الصيد . ولكن في الحقيقة كانت إحدى عينيه على الطّعم ، وعينه الأخرى على الساقية القريبة !

وكان المكان المنزول خالياً

من المارة ، لا يعكّر صفوه إلا نقيق الحمير ، ونحوار الجاموس ، وتباح الكلاب !

وبينما هو كذلك مأخوذ بعملية الصيد والمراقبة ، وقد نسي الدنيا وما فيها ، إذا به يقيق بغتة على صوت أجش يجذّته من الخلف ! صحا «سارة» على هذا الصوت المألوف ، الذي لن ينساه مدى الحياة ، إنه صوت «عويضة» ، الذي كان يقف وراءه منتصب القامة كالطود الشامخ !

دخّل «عامر» منزل العنّدة وهو يلهث ، واتصل بوالده

الوالد : مالك تلهث يا «عامر» ؟

عامر : جئت إلى دار العنّدة عدواً ؟

الوالد : ولماذا هذه العجلة ؟ هل هناك ما يستدعي منك العذو ؟

عامر : المسألة عاجلة وخطيرة ! وتستوجب حضورك !

الوالد : خطيرة ! ! أية مسألة ؟ هل حدث لأحدكم مكروه ؟

عامر : أبداً . نحن بخير . فقط لا يمكنني أن أصرّح في

التليفون !

الوالد : هذا ما كنّا نعمل حسابه ! ! لابد أنكم انغمستم في

مغامرة جديدة !

عامر : نرجوك يا بابا أن تحضر فوراً ! فالوقت ضيق !

الوالد : بعد نصف ساعة فقط وهي مسافة الطريق بالسيارة !

أنهى «عامر» مكالمته مع والده ، ورجع إلى المنزل حيث طمأن

إخوته بأن والدهم في طريقه إليهم بالسيارة .

وكانت «أم شلي» أسعدهم نبأ وصوله ! فحضوره سوف يخلّجها

من تحمل مسئولية هؤلاء الشياطين الصغار ! وكفأها ما جرى لها حتى

الآن في هذه الدار !

ذعر «سيارة» في أول الأمر ، ولكن نفسه هدأت عندما لم يُبد
«عويضة» أية دلالة على معرفته إياه . .

فقد كان «سيارة» يخفي وجهه بكوفيته اتقاء للبرد ، حتى لم يعد
يظهر منه غير عينيه وأنفه . .

بدأه «عويضة» الحديث ، وكانت نبرات الشك تبدو واضحة في
صوته ، فقال له : ماذا تفعل هنا أيها الصببي في هذا الصقيع ؟
تردد سيارة في الإجابة بعض الوقت لئلا يكشفه «عويضة» من
صوته . ولكنه أجابه بعد أن حاول جهده تغيير معالم صوته ونبراته !
كما ترى ! أحاول أن أصطاد قرموطاً ! .

عويضة : ألم تر أحداً في هذه الناحية ؟
سيارة : لماذا تسأل ؟ . . والمكان خالي كما ترى ؟ فلا يوجد غيري
وغيرك !

عويضة : لقد سطا الأشقياء على غيطي القريب . . وقت إبلاغ
نقطة سنديون . . فهل لمحت أحداً من رجال البوليس هنا ؟
آه من الخبيث ! . . إنه يريد أن يتأكد من أن سر سبائكك
الذهبية مازال سراً مكتوماً !
فأجابه سيارة دون تردد : لا . . أبداً ! . . وما دخل الشرطة
هنا ؟ ! . .

عويضة : ألم تسمع صوتاً غريباً لفت نظرك ؟

سيارة : لم أسمع غير صوت الحمير والجاموس والكلاب !

عويضة : أقصد صوت . . . صوت ساقية مثلاً ! !

سيارة : ساقية ! . . لا يوجد في كل الناحية غير هذه الساقية . .

وهي مهجورة منذ سنوات طويلة لم يقربها أحد ! !

عويضة : آه ! أهى كذلك ! لم أكن أعرف ذلك !

ظهرت علامات السرور والارتياح على وجه «عويضة» ، وما إن
هم بالانصراف حتى ظهر «روميل» فجأة أمامه ، وكان في جولة
قصيرة بين المزروعات . وما كاد يلمح «عويضة» حتى كثر عن
أنياه ! ثم ذهب واحتسب في «سيارة» إنه مازال يذكره !

أخذ «عويضة» يتفحصه بإمعان ، ثم سأله «سيارة» وهو يظهر
الشك : أهذا كلبك ؟

صمت «سيارة» وهو يتردد في الإجابة . إذ كيف ينسى
«عويضة» ذلك «العلب» الذي أطلّ عليه من نافذة المطبخ ، ثم
هاجمه وأنشبت محالبه في ساقه دفاعاً عن صاحبه ! . .

وأخيراً قال «سيارة» بصوت مرتعش :

- أظن ذلك !

عويضة : تظن . . ألا تعرف كلبك ؟

« عويضة » يحوم حول الساقية ليطمئن على كثرته !
وعندما دخل الردهة ، فوجئ بالمغامرين الثلاثة وهو يلتفون حول
والدهم يتحدثون إليه .

كانوا يتسابقون في سرد ما صادفهم من وقائع غريبة في المنزل ،
وهو يستمع إليهم في عجب ودهشة ، فقال الوالد : لقد
حيرتموني ! ! في ربع قرن وأنا أواظب على الحضور إلى هذا المنزل ! .
ولم أسمع صوت هذه السقاطة مرة واحدة ! أو انتقال خيال المآنة من
مكانه ! . . أو إدارة هذه الساقية المهجورة ! . .

ثم تنبه « عامر » إلى وجود « سارة » في الردهة ، فسأله : ماذا
جاء بك يا « سارة » ؟ ولماذا تركت مركز المراقبة ؟ . .

سارة : لقد ظهر « عويضة » بقرب الساقية ، وتحدث إلي .
ولكنه لم يتعرف علي . . وقد لاحظت عليه القلق الشديد ! .
عامر : أعتقد هذا لأنهم يستعدون لنقل السباثك الذهبية هذه
الليلة !

نظر الوالد إلى « عامر » في دهشة ، وكأنه لا يصدق أذنيه ،
فصاح :

الوالد : سباتك ذهبية ! ! أهنك سباتك ذهبية أيضاً ؟ ؟
أين ؟ ؟ في المنزل ! ! . . لا علم لي بذلك !

سارة : هذا النوع من الكلاب ينتشر في هذه الناحية ! وكلها
تشابه ! قد يكون كلبي . . وربما لا يكون !

عويضة : أذكر أني رأيت هذا الكلب بالذات من قبل ! ولكني
لا أذكر أين ! . . ومتى ! . .

سارة : أنت مخفي ياسيدي ! لقد وصلت بكلي من القاهرة
منذ ساعة فقط !

أخذ « عويضة » يعمل فكره ليتذكر هذا الكلب العجيب . ولكنه
عجز عن ذلك ، فهز رأسه وانصرف . إن لديه ما هو أهم من هذا
الكلب ! وما كان يهتم هو الإطمئنان على سباتكه الذهبية ، وأن
أحداً لم يقترب من الساقية . وهماو ذا قد اطمأن عليها ! . لقد طمأنه
عليها ذلك الصياد الصغير البريء من حيث لا يدري !

اتراح الكابوس الثقيل من قلب « سارة » ، وهدأت نفسه قليلاً .
كان لا محالة هالكا لو تذكر « عويضة » كلبه « روميل » ! ولكن الله
ستر ، وطمس على ذاكرته ! . .

ولكنه كان يضحك في باله على خيبة « عويضة » الثقيلة .
وياها من مفاجأة مذهلة منتظرة . . لن تخطل له على بال . . هو
وأعوانه الأشرار !

انصرف « سارة » عائداً إلى المنزل ليحذر « عامر » وليخطره بأن

عامر : كنت سأخبرك بها حالاً . . . السبائك موجودة الآن في
الساقية !

الوالد : سبائك ذهبية في الساقية ! ! أية ساقية ؟ الساقية
المهجورة ؟ هل أنت متأكد ؟

عامر : نعم . . أربعون سبيكة ذهبية ! في كل قادوس عشر
سبائك ! لقد عدتها بنفسى !

الوالد : هذه مسألة خطيرة لا يجب السكوت عليها . . لم أسمع في
حياتى خيراً أعجب من هذا !

عامر : ولهذا تحدثنا إليك في التليفون . . لأن المسألة عاجلة جداً
كما ترى !

الوالد : وهل أبلغتم النقطة ؟ ماذا تنتظرون ! . .

عائلة : كنا ننتظر حضورك يا بابا لتقوم بنفسك بهذه
المهمة ! ! !

وهنا تدخل «سمارة» وقال :

على كل حال السبائك في أمان . . سأقوم بخراستها بنفسى حتى
يخضر البوليس !

ضحك الوالد على قول «سمارة» : بالرغم مما كان يشعر به من
خوف وقلق بالغ . فهو يدرك تماماً أن مثل تلك العصابات الخطيرة

التي تعمل في تهريب الملايين ، لن تسمح بأن يقف نفر من الأطفال
المغامرين عقبة في طريقها . بل هى ستلجأ حتماً إلى جميع الوسائل
غير المشروعة لإزالتهم من سبيلها ! ! ! .

أما المغامرون فكانوا على عكس والدهم . كانوا يشعرون بالهدوء
والفرح والسعادة . إن مغامرتهم قد قاربت نهايتها - أوهكذا ظنوا -
بعد أن أدّوا واجبهم فيها على أكمل وجه . لقد انتصروا على الجريمة
بشجاعتهم وذكائهم وحسن تصرفهم !

.. .

جلس ضابط نقطة «سنديون» في الردهة ، ومن حوله
التف المغامرون . وكان الضابط ينصت إلى «عامر» باهتمام غير
عادى ، وكأنه يستمع إلى تقرير مفصل يدلى به أحد ضباط
المباحث ! ولكنه كان ما بين مصدق ومتشكك ! إنه لا يصدق أن
هؤلاء المغامرين الصغار قد أقدموا على مثل هذا العمل الذى يعجز
عنه بعض الرجال !

وبعد أن انتهى «عامر» من سرد تقريره ، قال الضابط : إن
عملكم الجليل ساعدنى كثيراً . لقد وصلنى «إخبارية» باحتال وجود
عصابة دولية لتهريب الذهب في محافظة القليوبية ! ولكنى لم أكن

أَتَصَوِّرُ أَنَهَا فِي مَنَاطِقَةِ اخْتِصَاصِي «بَسْنَدِيُون» حَتَّى عَلِمْتُ ذَلِكَ مِنْكُمْ
الآن !

عامر : وَكَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِلَ السِّبَاثُكَ إِلَيْكَ !
عارف : وَلَكِنَّا أَثَرْنَا أَنْ نَتْرَكَهَا فِي مَكَانِهَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهَا
العصاية ، وَغِنْدُثُذُ يَسْهَلُ الْقَبْضُ عَلَيْهَا فِي حَالَةِ تَلَبُّسٍ !
سمارة : وَكُنْتُ أَنَا أَحْرَسُ السَّاقِيَةِ حَتَّى لَا يَسْتَوِي اللَّصُوصُ عَلَى
الْكُنْتَرِ ! وَجَاءَ زَعِيمُ الْعَصَايَةِ يُخَذِّلُنِي . . وَلَكِنِّي لَمْ آيِدْ بِهِ ! ! !
عالية : . . سَوْفَ تَقَعُ الْعَصَايَةُ فِي الْمَصِيدَةِ . . إِنَّهُمْ لَنْ يَفْتَلَتُوا مِنْ
أَيْدِينَا ! ! فَتَحْنُ نَقْفَ نَحْمٍ بِالْمُرْصَادِ !

الضابط : مَا فَعَلْتُمُوهُ هُوَ عَيْنُ الْعَقْلِ . . لَقَدْ أَحْسَنْتُمُ التَّصَرُّفَ
بَذِكَاءٍ وَفُطْنَةٍ وَشَجَاعَةٍ .

عامر : لَقَدْ أَدْرَكْنَا أَنَّ الْقَبْضَ عَلَى الْعَصَايَةِ أَهَمُّ مِنَ الْعَثُورِ عَلَى
الذَّهَبِ ! . .

الضابط : هَذَا صَحِيحٌ . . وَالْآنَ . . هَلْ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ أَنْ
يَتَعَرَّفَ عَلَى أَفْرَادِ الْعَصَايَةِ ؟

سمارة : أَنَا ! فَرَعِيمُهَا «عَرِيضَةُ» ضَرَبَنِي ضَرْباً مُبْرِحاً مَا زَالَ أَثَرُهُ
عَلَى جِسْمِي ! ! .

الضابط : وَهَلْ تَعْرِفُهُ إِذَا رَأَيْتَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ؟ . .

سمارة : وَكَيْفَ أَنَسَاهُ ! لَقَدْ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ مِنْ سَاعَةٍ فَقَطْ !
نَظَرَ الضَّابِطُ إِلَى «سَمَارَةَ» بِارْتِيَابٍ ! وَقَالَ : هَلْ أَنْتِ مُتَأَكِّدَةٌ
مِنْهُ ؟ وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ ؟ وَمَاذَا دَارَ بَيْنَكُمَا مِنْ حَدِيثٍ ؟

سمارة : رَأَيْتُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الْمَطْبُخِ ، عِنْدَمَا ضَرَبَنِي «الْعَلَقَةُ» . .
وَجِسْمِي فِي الْكَرَّارِ أَنَا وَكُلِّي ! وَفَافِي مَرَّةً الْيَوْمَ بِجَوَارِ السَّاقِيَةِ . . وَقَالَ
لِي إِنَّهُ يَنْتَظِرُ وَصُولَ الْبُولِيْسِ لِلتَّحْقِيقِ فِي بِلَاغِ قَدَمِهِ بِسَرَقَةِ مَحْصُولِهِ !
الضابط : هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ فَهَوُ كَاذِبٌ ! لَمْ يَصْلُنِي الْيَوْمَ أَمْرٌ
بِلَاغٍ ! وَلَيْسَ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ كَلْهَافٌ يَحْمِلُ هَذَا الْأَسْمَ ! ! .
سمارة : وَسَأَلْنِي أَيْضاً عَنِ السَّاقِيَةِ الْمَهْجُورَةِ !

الضابط : إِنَّهُ يَرِيدُ التَّحْقِيقَ مِنْ عَدَمِ مَعْرِفَةِ الْبُولِيْسِ
بِنَشَاجِلِهِمْ . . وَأَنَّ السِّبَاثُكَ مَا زَالَتْ فِي مَكَانِهَا بِالسَّاقِيَةِ ! . . فَلَنَدْعُهُمْ
يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ . . وَنَسْزُجُ خَطْبَتَنَا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ! . .

كَانَتْ الْخُطَّةُ بَسِيطَةً وَإِنْ كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الذِّكَاءِ وَالْجُرْأَةِ . وَكَانَ
الْفَضْلُ فِي رَحْمَتِهَا - كَمَا أَقَرَّ الضَّابِطُ بِنَفْسِهِ - لِلْمَغَامَرِينَ الثَّلَاثَةِ ، وَعَلَى
رَأْسِهِمْ «عَامِرُ» الرَّأْسِ الْمَفْكَرُ الْمُدَبِّرُ !

وَمَا الْغَرَابَةُ فِي ذَلِكَ ، وَهَمَّ قَدْ اخْتَبَرُوا الْمَنَاطِقَةَ جَيِّدًا ، وَعَرَفُوا كُلَّ
شَيْءٍ فِيهَا . كَمَا تَعَوَّدُوا الْآنَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ سُلُوكِ رِجَالِ الْعَصَايَةِ وَحِيلِهِمْ



والأعبيهم التي قاسوا منها الكثير . وخصوصاً «سيرة» الذي وقع في أيديهم ، وتعرّف على زعيمهم «عويضة» وزميليه . . .

هذا بجانب أن وجود المغامرين على مسرح العفلية لن يثير أية شبهة . بل هو شيء طبيعي لا يلفت النظر ! . . أليس المنزل منزلهم ؟ والغيظ غيظهم ؟ والساقية ساقيتهم ! . . بل بالعكس . . إن غيبيهم المفاجئ قد يثير تساؤل العصاية ! . .

وقد بنى المغامرون خطتهم على أساس أن لا خوف من تسلك الأشتياء ، وحصولهم على السباتك ، ثم الفرار بها في جنح الظلام . إذ لابدّ لهم لتنفيذ ذلك من إدارة الساقية ! وعندئذ تطبق عليهم قوة مسلحة من رجال الأمن عند سماعهم نعيها .

واقترح «عامر» أن تكون هذه القوة في منزلهم ، حيث يسهل عليها أن تطبق على العصاية في ثوان معدودات ، وقبل أن يفلتوا بحملهم الثقيل الغالي الثمن !

ولم يستبعد «عامر» عند وضع الخطة : أن يلجأ الأشتياء إلى النزول بأنفسهم في بئر الساقية وانتشال السباتك ، دون الحاجة إلى إدارتها ! إذ قد يتعدّر عليهم مثلاً العثور على جاموسة . . أوليتفادوا ذبوع صوتها في سكون الليل ! . . أولاً سبب آخر . .

وفي هذه الحالة كان لا مفر من اشتراك المغامرين الفعلي مع القوة

المسلحة في العملية ! ! إن في ذلك ضمناً لنجاح الخطة .

كان أول ما فعله المغامرون هو التسلل إلى المبنى الذي أخفت فيه العصابة الدراجات الثلاث . وكان ذلك بعد أن استكشف لهم « سارة » الطريق والمكان . . فوجده خالياً .

وهناك وجدوا الدراجات كما تركوها ، تحتى تحت أكوام القش . فما كان من « عامر » إلا أن أسرع في فك صواميل عجلاتها ، وتركها في مكانها ، ثم أهال عليها أكوام القش كما كانت . ثم قال : عامر : هذا من باب الاحتياط ، حتى نمنعهم من الحرب بها ! سوف يُطرحون أرضاً إذا حاولوا ركوبها . . أو استعملها في حمل السبائك ! هذه أولى مفاجآتنا لهم !

عالية : باله من منظر مضحك فريد كان بودى أن أشاهده ! عندما يهوى « عريضة » بالدراجة في التربة ! . .

ثم سار « عامر » إلى مكان يواجه الساقية على حافة التربة ، حيث ينمو حرش من البوص والغاب الكثيف . وبعد أن غابته قال : عامر : هنا ستكون منطقة مراقبتى . . هذا المكان يصلح للاختفاء ! ولن نخاطر على باهم أن هذا البوص الشائك يضم شخصاً !

عالية : ولكنه قريب من الساقية . . لا يا «عامر» ! أنت كمن يضع نفسه في عرين الأسد !

عارف : وماذا لو اكتشفوك ؟

عامر : المهم أن أصدر الإشارة المتفق عليها إلى القوة أولاً . . ثم أقفز إلى الماء . . وفي طرفه عين ساكن على الشطّ المقابل . . ولن يلحق بي أحد منهم . . أويكتشفني في الظلام . .

عالية : ولكنك ستصاب ببرد ، فالماء بارد !

عامر : لا أخوف عليّ ، لقد تعودت على الماء البارد في تدريبات بطولات السباحة . .

وكان دور «عارف» هو مهمة الوصل ما بين القوة المرابطة في المنزل ، وبين الخارج . إن تحركاته في المنطقة لن تثير شبهة أحد ! . .

هذا علاوة على رعايته لأخته «عالية» ، ووالده ، و«أم شلي» ، التي كانت في حالة يرثى بها من الملح !

أما «سمارة» فقد اعترض على دوره في أول الأمر . ولكن ما ليث «عامر» حتى أقنعه به ، وبثّد مخاوفه ! فقال له :

عامر : وما هو اعتراضك على مهمتك ؟ فعهدى بك الشجاعة !
سمارة : المكان الذي ساكنم فيه موحش ، فهو يقع وسط

بساتين البرتقال ! وهو الطريق الذي نرجح أن العصاة ستسلكنه . .

فقاطعه «عامر» وهو يحاول أن يدخل الطمأنينة إلى قلبه ، وقال :

عامر : العصاة لن تتعرف عليك وأنت متخفي في صورة «خيال الماتة» ! ! سنحاول أن نجعل منك صورة طبق الأصل من «شلي» !

سمارة : وهذا هو اعتراضى ! ! لقد فشلت مرة وأنا في صورة نمر ! ! فما بالك وأنا في صورة «خيال الماتة» ! ! . .

ضحك «عامر» عندما تحيل «سمارة» وهو في زي «خيال الماتة» ، يقف بالساعات لا يتحرك ، مادًا ذراعيه في صقيع الليل وسط بساتين الفاكهة !

عامر : لا أهمية للفشل . . المهم أن نحاول وننجح ! .
وبعد أن انتهى المغامرون من معاينة مسرح العملية ، ومراجعة أدوارهم بكل دقة وغناية ، عادوا إلى منزلهم ، انتظاراً لخلول الظلام !



وعندما هدأت الحركة وساد
الظلام ، دخلت القوة المسلحة
منزل المغامرين في هدوء وحذر ،
بقيادة ضابط النقطة .
فاستقبلهم الوالد بالترحاب ، في
حين كانت « أم شلبي » تختفي في
حجرتها بعيداً عن الأنظار !
وكان « عامر » و « سمارة »
على أهبة الرحيل ، كلٌّ إلى
موقعه المتفق عليه في الخطة !



روميل

فارتدى « عامر » ملابس قاتمة ، لتختفي شبهة في الليل وسط
حرش البوص على حافة التربة ، ووضع بطاريته في جيبه .
أما « سمارة » فوضع طاقية على رأسه : وكوفية حول عنقه :
وارتدى جاكيت مهلهلة ، وسروالاً ممزقاً .
وكانت « عالية » تحتل النظر إلى وهي تبسم ، ثم قالت :
« عالية : مسكين « سمارة » ! سيفقد طول الليل كالديديان ساكناً

بلا حركة . . فardاً ذراعيه ! . . إنه سينافس « شلبي » ! أرجو
ألا يلقى مصيره !

الضابط : نحن الآن في الانتظار . وسنكون فوق رؤوسهم بعد
قليل من سماع صوت الساقية ! حتى نعطيهم الفرصة لاستخراج
السبائك : فنقبض عليهم متلبسين !
عامر : أما إذا نزل أحدهم إلى البئر نفسه لاستخراج السبائك كما
أنتوقع . . فسأصدر لكم إشارة ضوئية خاطفة من وراء البوص !
سمارة : وأنا إذا نحت « عويضة » أو « أبو سريع » في طريقها إلى
الساقية ، فسأطلق ساقٍ للرّيح بين الأشجار حتى أصل إلى المنزل
لأنه يكم ؟

الضابط : اتفقنا . . أغنى لكما النجاح . . وأوصيكما بالحذر . .
فاخطة كلها تتوقف عليكما ، وحسن تصرفكما !

كان الجو الخيم على المكان مقبضاً . فالسواء ملبدة بالغيوم !
والرياح راكدة ! ونقيق الضفادع يصم الآذان !
افترق « عامر » و « سمارة » عندما وصلا قرب الساقية . وقبل أن
يفترقا أوصى « عامر » « سمارة » بالتيقظ وحسن التصرف ، قائلاً :
عامر : عليك يا « سمارة » بالتيقظة . وإياك أن تغفوت ثانية واحدة !

إن مهمتك دقيقة وخطيرة . . ولن يهب أحد لنجدتك وسط بساطين
البرقوق المقفرة . . واحذر الثعالب !

أما «عامر» فقد عاين الساقية والمبنى الطيني والدوار للمرأة
الأخيرة . وبعد أن اطمأن على وجود الدراجات في مكانها ، ذهب
إلى مخبئه وسط البوص .

تحمل «عامر» ونز الشوك في صبر وأناة . فإن أجداً من الأشقياء
لن يخطر على باله أن عيناً تترصد لهم في هذا المكان الضيق الشائك !
قبع في مكانه وكله آذان صاغية مرهفة . وبالرغم من حلكة
الليل ، كانت عيناه الحادتان تحترقان الظلمات . فقد تنشق الأرض
عن «عويضة» وأعواته في أية لحظة ! وعندئذ سوف يتأهب لإعطاء
الإشارة المتفق عليها إذا نزل أحدهم البئر ! ثم ينتظر هجوم القوات
ليشترك معها في القبض على الأشقياء .

أما المسكين «سمارة» فكان يقف وحيداً وسط غابة كثيفة من
أشجار الفاكهة . وكان يتلفت في الاتجاهات الأصلية الأربع : فهو
لا يعلم أى طريق سوف تسلكه العصابة ! فهي قد تفاجت من يمينه
أو يساره . . من أمامه أو خلفه ! وربما لا تسلك هذا الطريق
إطلاقاً ! أو ربما لا تظهر اليوم . . إنما غداً . . أو بعد غد ! من
يعلم ! على كل حال ها هو ذا في انتظارهم على استعداد !



الفرق «عامر» على سمارة في الطريق إلى مخبئه بين سيقان البوص .

ولكن ماذا يهمه من كل ذلك ! إنه سوف يقوم بالمهمة الشاقة المكلف بها على أتم وجه ، بالرغم مما قد يصادفه من مخاطر وصعاب .

وهذا بطبيعة الحال إذا لم يخرج عليه ثعلب من وسط الأشجار ! ! !

وفي هذه الحالة سوف يولى الأدبار !

قاربت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكان « عامر » ينظر في ساعته الفوسفورية في قلق بين الفينة والفينة . لقد ابتدأ النعاس يغالبه بعد أن حلَّ به التعب والإرهاق ، ولولا صوت نقيق الضفادع المزعج الذى كان يؤرقه لنام !

ولكن لا حش ولا خبر عن « عويضة » وعصابته ! رجح لديه أن العصاية لن تأتى الليلة في طلب السبائك ؛ وكاد اليأس ينتابه ، عندما وصلت إلى سمعه أصوات خافتة تأتى من بعيد ، يصحبها وقع أقدام .

ثم ظهرت أمامه فجأة ثلاثة أشباح تحوم حول الساقية . ولكنه لم يتمكن من التمييز بينها في الظلام . ثم مالبت أن سمع الحديث التالى يجرى بينهم :

الشيخ الأول : لماذا رفض « رفاعى » أن يعطيك جاموسه ؟ وماذا قال لك ؟ وكيف ينكص وعده معنا ؟ الويل له منى !

الشيخ الثانى : قال إنه سيحلب الجاموسة ، فطلبت منه جملاً . فقال إنه سيحمله بالحطب من الغيط ! . .

الشيخ الأول : لا بد من استخراج السبائك هذه الليلة بأى ثمن ! حالاً ! فقد يضيع هؤلاء الصغار كل مجهودنا هباء !

الشيخ الثالث : لك حق ! فهذا الصبي الذى كان يلبس جلد الثور رأى الصناديق ! وهو لن يسكت على ذلك ! بل سيقم الدنيا ويقعدها علينا !

الشيخ الثانى : وما العمل الآن ؟ نحن فى ورطة !

الشيخ الأول : لا حاجة لنا بجمل أو جاموسة لإدارة الساقية . بل بالعكس قد يلفت نعيها الأنظار ! يستحسن أن نعمل فى صمت !

الشيخ الثانى : ولكننا لن نقدر على إدارة الساقية بسواعدنا ! الشيخ الأول : قلت لا داعى لذلك ! ! . سادى بجمل ميتين

تهبط به إلى قاع البئر . . . لتستخرج السبائك من القواديس . . ثم تضعها فى هذه الزكية . . ونرفعل بالحبل إلى أعلى !

رأى « عامر » الأشباح الثلاثة وهى تتسابق نحو بئر الساقية . وكان وهو يخرج بطاريتة من جيبه يهتز من الإثارة ، استعداداً لإصدار

الإشارة . ثم انتظر قليلاً حتى يتأكد من نزول الشبح إلى البئر ، ويبدأ في إخراج السبائك . .

ولكنه فوجئ بالشبح الأول وهو يقول : اذهبوا وحضروا الدراجات أولاً ، حتى تكون جاهزة لحمل السبائك بمجرد خروجها ! ! . . كادت تصدر عن «عامر» صيحة تفصحها ، وهو يستمع إلى تعليمات الشبح إلى أعوانه ! إن الحظفة التي وضعوها أصبحت الآن على وشك الفشل . يا خيبة الأمل ! لقد كان النجاح وشيكاً وأكيداً ! لقد ذهب مجهودهم عبثاً .

فالأشقياء سرعان ما سيكتشفون أن يداً غريبة حلت صواميل الدراجات وعطلتها ! . . سيدرك «عويضة» وأعوانه أن هؤلاء الصبية قد كشفوا الستار عن عملهم . . وأبلغوا عنهم . . وأنهم الآن مراقبون محاصرون ! ! . .

لا وقت الآن أمام «عامر» للتفكير أو الانتظار . لابد أن يتخذ قراره بأسرع من لمح البصر ! وقيل فوات الأوان ! لا جدال في أن أفراد العصابة سوف يلوذون بالفرار وسط المزارع والبساتين ، عندما يكتشفون ما أصاب الدراجات من تخريب ! ! . . إنه يرهان دماغه على أن سرهم قد انكشف وذاع ! ! . . فأخرج «عامر» بطاريتته من جيبه ، وأصدر إشارته الضوئية الحافظة

دون تردد ! ودون انتظار اكتشافهم لما حدث للدراجات ، أو النزول إلى البئر ! ! . .

لم يتنبه الأشقياء إلى الإشارة ، فقد كان اثنان منهم داخل المبنى الطيني ، والثالث ينتظرهما على الباب ، وهو يحثهما على الإسراع ! . . فقرر «عامر» أن تصل القوة إلى الساقية في أقل من ثلاثين ثانية ، تقطع فيها عدواً مائة متر ، التي تفصل الساقية عن المنزل . أي قبل أن يفيق الأشقياء من المفاجأة التي تنتظرهم داخل المبنى . وقبل أن يتمكنوا من الفرار ! ! . .

وماكاد الشبحان يدخلان المبنى ، حتى سمع «عامر» صياحاً يصدر من داخله . كان الذعر يتخلل نبرات هذا الصوت وهو يصيح :

— لقد ضعنا يا «عويضة» ! ! . .

عويضة : ماذا تقول يا «أوسريع» ؟ من الذي ضاع ؟ ! .

أوسريع : نحن يا «عويضة» ! ! رحنا في داهية ! ! . .

لقد كشفنا هؤلاء الشياطين الصغار !

عويضة : ما الذي حدث ؟ . . تكلم ! ! . .

أوسريع : إن بدأ فكّت العجلات ! ! يا خبيثتنا الثقيلة ! !

عويضة : ماذا تقول ! هذا مستحيل ! لا أحد يعلم بوجودها في

هذا المكان !

أوسريع : لقد تغلب علينا هؤلاء الشياطين الصغار ! إنهم يعلمون كل شيء عنا ! ..

عويضة : إذن هيا بنا نسرع بالفرار قبل أن تقع في كمين ! ! !

ولكن تحذيره جاء متأخراً . إذ لم يكد ينتهى من جملته ، حتى أطيقت عليهم القوة ، وأحاطت بهم من كل جانب . . .

لم يجد «عويضة» وشركاؤه مفراً من الاستسلام دون إبداء أية مقاومة ، في مواجهة المدافع الرشاشة والمسدسات المصوّبة إلى صدورهم ! ..

وكان «عارف» ، الذى وصل مع القوة ، يقف مع «عامر» على حافة التزعة بعد أن خرج من مخبئه الشائك ، وهما يضحكان ملء شديقيهما على خيبة «عويضة» وشريكه !

أما «سيارة» فكان في واد آخر ! حتى أصوات الحركة والصباح والصراخ لم تصل إلى سمعه !

لقد بذل المسكين مجهوداً خارقاً جباراً طول الليل . كان يقف ساكناً كالتمثال دون أن تصدر عنه حركة أو إشارة ، وهو يحاكي «خيال المائة» ! إلى أن غلبه النعاس والتعب ، فخرّ صريعاً على

الأرض وراح في سبات عميق ! ..

ولما قلق المغامرون على غيابه حتى الصباح ، خرجوا يبحثون عنه وسط البساتين الشاسعة ، إلى أن عثروا عليه وهو يرقد تحت شجرة باسقة . كان يرتجف من البرد داخل جاكته المهلهلة ، وسرواله الممزق ! و«روميل» المخلص يرقد تحت قدميه !

نظرت إليه «عالية» نظرة عطف وإشفاق ، وقالت : - ياله من شجاع ! كانت مهمته شاقة صعبة ينوء تحت حملها الرجال ! ولكنه لم يفكر في أن يتخلى عنها حتى خرّ على الأرض ! ..

فضحك «عامر» وقال : الحمد لله إنه سليم لم يلق مصير «شلبى» !

ولا تسلّ عن فرحة «سيارة» عندما أيقظوه وعلم منهم بنبا القبض على العصاة ، وقال انظرتهم طول الليل وأنا أقف في الصقيع حتى تجمدت ! ولكن لم يجرؤ أحد منهم على الظهور ! ! ! فنمت ! .. وكان والدهم يجلس على أريكة تتوسط الردهة ، عندما دخل عليه المغامرون بصحبة «سيارة» .

وكان الوالد يشعر بالزهو والفخر بأولاده البواسل الشجعان . ألم يمنعوا بجرأتهم وإقدامهم وذكايتهم كارثة مالية كانت ستحقيق

بالاتقصاد القومى لوطنهم ! . . .

جلس «عامر» إلى يمينه ، و«عارف» إلى يساره وهو يحتضن قطه «مرجان» .

أما «عالية» فافتشت الأرض على جلد النر كعادتها ! . فى حين جلس «سمارة» على كرسي وهو يرتب بختان ظهر «روميل» . .

قال الوالد : اتصل فى ضابط نقطة «سنديون» يطلب مقابلتكم فى أمر هام . وفوق ذلك فهو يريد أن يدون أقوالكم فى محضر رسمى يرفعه إلى الجهات العليا الرسمية .

وفى صبيحة اليوم التالى ، وصل ضابط المباحث إلى المنزل ، وجلس فى مواجهتهم . وكان ينظر إليهم بإعجاب وهو يدون أقوالهم فى المحضر . ووجه إليهم الحديث فقال :

-كلفت رسمياً أن أوجه إليكم الشكر نيابة عن سلطات الأمن . فأنتم قد أدبتم خدمة جليلة للدولة ، بعد أن ثبت لدينا أن هؤلاء المخرمين العناة هم أخطر مما كنا نتوقع ! . . .

إذ اتضح لنا بعد استجوابهم أنهم شركاء فى عصابة دولية متشعبة ، تعمل فى تهريب الذهب إلى بلدان الشرق الأوسط . وقد اتصلنا بالبوليس الدولى «الإنترپول» لمساعدتنا فى القبض على أفرادها بعد أن اعترفوا لنا بأسمائهم ! . . .

عامر : وكم بلغت قيمة السبائك المصادرة ؟

الضابط : لقد أرسلناها إلى البنك المركزى لتقييمها . وهى تقدر على كل حال بعشرات الملايين !

عارف : لو قدر لهذه السبائك أن تسرب لانهارت أسعار الذهب فى أسواقنا ! . .

الضابط : لاشك فى ذلك ! ولكنكم منعم وقوع هذه الكارثة ، ووقفتم فى سبيلها . لقد قتم بعمل رائع سوف نذكره لكم دائماً . .

عامر : إننا لم نفعل شيئاً . . هذا واجبنا أدبناه !

عارف : ولو قدر لنا أن نعاود الكرة لما ترددنا !

عالية : ومكافأنا هى وقوع العصابة فى أيدي العدالة !

سمارة : ولا تنسوا «روميل» ! ودوره البارز فى العملية ! !

